الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ

نشاط الأمير عبد القادر الجزائري في بلاد الشام (1847م– 1883م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
– عقيلة يوسفي
– أمينة شنوي

إشراف الأستاذ:
أحمد بن يغزر

السنة الجامعية
1436هـ/1437هـ–2015م/2016م

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً **مباركاً** فيه

ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ولك **الشكر**

يارب على ما أنعمت علينا من قوة وصبر

لإنهاء هذا العمل

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "بن يغزر **أحمد**" حفظه الله ورعاه، الذي سهل علينا الطريق ولم يبخل علينا يوماً بوقته وجهده وعلمه فوجهنا حين الأخطاء وشجعنا حين الصواب وكان لنا نعم المشرف والأستاذ الموجه.

كما نتوجه بجزيل الشكر إلى كل الأساتذة والأستاذات الذين بذلوا كل جهودهم حتى صرنا في هذا المكان، وإلى كل من ساعدنا من قريب وبعيد لك كل الاحترام والتقدير

وفي الأخير نتمنى أن ينال عملنا المتواضع

رضاً وقبولاً حسناً

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من ساعدني في إنجازه من قريب أو من بعيد

أهدي هذا العمل إلى من رافقتني طوال مشواري الدراسي بدعائها ونصيحتها الغالية، إلى "أمي" الحبيبة التي كانت الدافع إلى نجاحاتي

كما أهديه إلى روح "أبي" الغالي رحمه الله الذي لطالما تعب من أجل إرضائنا، والى روح أخي "عباس" رحمه الله وجعل الجنة مستقرهما

كما أهدي ثمرة جهدي هذا إلى كل إخوتي الأعزاء، عبد الله، عبد القادر محمد، كمال، وابن أخي عبد الرِؤوف، والى حبيباتي "مريم فتيحة وحميدة"

إلى كافة زميلاتي وزملائي في الدراسة الذين وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

أمينة

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدتي الغالية "عائشة" رحمها الله، التي لطالما انتظرت أن ترى ثمرة جهدها وتعبها.

إلى من كان قدوتي ورفيقي في مشواري، إلى الذي أفنى عمره وماله وصحته لأجل راحتنا والدي الكريم"عبد القادر" حفظه الله وأطال في عمره.

إلى خالتي "أم هبة" التي أمسكت مشعل أمي حتى تنير لنا الدرب

إلى زوجي الغالي"عبد الله" الذي صبر معي وساندني حتى انتهى عملي

إلى إخوتي "عبد الكريم، عزالدين، منير"

إلى أخواتي "وردية، إيمان، هبة "

إلى صديقاتي ورفيقات دربي " هجيرة، نادية، فاطمة "

إلى زميلتي ورفيقة أيامي" أمينة "

إلى" فتيحة، حسيبة، فاطمة الزهراء"

إلى كل من يعرفني أهدي هذا العمل المتواضع

عقيلة

قائمة المختصرات:

الرمز	الدلالة
ص	الصفحة
سل	سلسلة
ج	جزء
مج	مجلد
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
تق	تقديم
دت	دون تاريخ
ط	الطبعة
دط	دون طبعة
ع	العدد
طخ	طبعة خاصة
هـ	هجري
م	ميلادي
س	السنة
إع	إعداد
page	p
Opéro citato	Op.cit

تناولنا في موضوعنا نشاطات واهتمامات الأمير عبد القادر في بلاد الشام ، وفيها تحدثنا عن مغادرة الأمير عبد القادر للجزائر وأسره بفرنسا سنة 1847م، ومجيء قرار الإفراج عنه مع تولي لويس نابليون الثالث عرش فرنسا، ومن ثم توجهه إلى القسطنطينية أين اتخذ من مدينة بروسة مستقر له لكن سرعان ما غادرها لمجموعة من الأسباب.

استقر الأمير عبد القادر في الشام، وأقام بدمشق مدة 27 سنة كان له فيها اهتمامات ونشاطات مختلفة مما جعله يكون عضوا فاعلا في المنطقة من خلال الأحداث التي شهدها هناك ومنها فتنة دمشق 1860م إضافة إلى اهتمامه بالجانب العلمي والتعليمي، ليخلف إنتاجات فكرية ساهمت في بلورة أفكار وأهداف جديدة.

Abstract

We have seen en our project the activities and interests of lemir Abd-el-Kader in the middle east, he was arrested in 1847 in France, but he was soon released after the arrival of napoleon 3 ,emir left to turkey where he stayed only for a short period of time, and then left it for some reasons.

He installed in Syria again, and stayed in Damascus for 27 years he had various interests and activities, he became well-known activist and personality in the region, for example the crisis of Damascus in 1860,he was much interested in both scientific and educational fields thus, his ideas and doctrine became more obvious and prosperous.

مقدمة

اهتم الكثير من الباحثين والدارسين لتاريخ الأمير عبد القادر الجزائري، بمقاومته للاستعمار الفرنسي، فركزوا دراستهم هذه على الجانب السياسي والعسكري لمقاومته في الجزائر التي امتدت من (1832م-1847م)، حقق فيها الأمير إنجازات كبيرة جعلت الفرنسيين يعترفون بقوته ومكانته.

إن هذه الدراسات بقدر ما اهتمت بالجانب العسكري والسياسي لمقاومة الأمير في الجزائر بقدر ما أهملت أعماله وانجازاته في المنفى بعد 1847م، فمقاومة الأمير لم تنته "باستسلامه" المشروط في ديسمبر 1847م، بل استمرت أينما حلّ، سواء أثناء أسره بفرنسا أو بعد إطلاق سراحه واستقراره في بروسة بتركيا أو في دمشق بسوريا، حيث انتقل الأمير من مرحلة السيف إلى مرحلة القلم، فأصبح بذلك رجل علم وفكر عميقين، ومعرفة قوية في علوم الدين والدنيا، وله آراء في مختلف قضايا عصره، فحقق بذلك انتصارات فكرية وعلمية تضاهي إنجازاته العسكرية والسياسية بالجزائر.

أصبح الأمير نموذجا للعالم العربي المسلم المثقف، القادر على التعامل مع متطلبات عصره، والتعايش مع مختلف الطوائف والثقافات في إطار التسامح والتعاون وتقبل الأخر.

و الدراسة التي سنقدمها تدور حول نشاطات واهتمامات الأمير عبد القادر بالشام في الفترة الممتدة من 1847م إلى 1883م.

حدود الموضوع:

يبدأ الموضوع بتاريخ 1847م، وهو تاريخ أسر الأمير عبد القادر ونقله إلى منفاه بفرنسا ثم إلى الشام، وتنتهي الدراسة في سنة 1883م، وهي السنة التي توفي فيها الأمير بدمشق بعد مسيرة حافلة بالأحداث والوقائع.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في محاولة التعريف بنشاط الأمير عبد القادر في الشام، إذ أن معظم الكتابات تتحدث عن فترة مقاومته للاستعمار في الجزائر بإسهاب أما الفترة التي نحاول دراستها فهي دائما تأخذ حيزاً ضيقا من الدراسة وبهذا سنحاول معالجة أهم القضايا التي أثيرت حول الأمير خلال تواجده بالمنفى عامة وبدمشق خاصة.

دوافع اختيار الموضوع:

لاشك أن اختيار موضوع ما لرسالة الجامعة مهما كانت درجتها، يكون ناتجا عن عدة عوامل، أثرت في صاحب الموضوع وجعلته يستقر على موضوع معين، واختيارنا لموضوع "اهتمامات ونشاطات الأمير عبد القادر في دمشق من 1847م إلى 1883م يعود إلى:

دوافع ذاتية:

أولا: جاء اختيارنا هذا بعد موضوع أولي كنا نرغب في معالجته وهو"سياسة التجنيس الفرنسي في الجزائر 1865-1847م"، لكن نظرا للدراسات العديدة حوله جاء هذا الاختيار أولا بتشجيع من الأستاذ المشرف ثم اقتناع منا بأنه الموضوع الأفضل للدراسة، خاصة بالنظر إلى القضايا الكبيرة التي اقترن بها اسم الأمير، التي دفعتنا للغوص في خباياها الكثيرة.

ثانيا: شخصية الأمير من الشخصيات التي كبرنا على سماع بطولاتها وأعمالها منذ بدايات دراستنا فما كان منا إلا العمل على التعمق في معارفنا الأولى بدراسة جادة ومستفيضة حتى نكون قد أعطينا هذا الرمز حقه من المعرفة والدراسة، وأرضينا فضولنا حول فترة ما بعد المقاومة والتي كانت غامضة عنا.

دوافع موضوعية:

أولا: محاولة إزالة بعض الغموض عن القضايا الشائكة، التي طرحت حول نشاط الأمير وأعماله في المشرق، خاصة منها المتعلقة بعلاقته مع الفرنسيين بعد نفيه.

ثانيا: إبعاد الشبهات والأكاذيب التي نسبت للأمير سواء من الفرنسيين أو العرب الناقمين على مكانته وإنجازاته الكبيرة.

ثالثا: التعريف بالجانب الإنساني الذي تميز به الأمير طيلة حياته والذي برز خاصة خلال استقراره بدمشق ومحاولة إعطاء نظرة شاملة حول الانجازات والأعمال العديدة للأمير في بلاد الشام.

الدراسات السابقة:

كانت معظم الدراسات التي تدور حول الأمير عبد القادر والتي اطلعنا عليها تهتم بتاريخ الأمير كقائد مقاومة في الجزائر، ومنها نجد مذكرة "البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري" لعائشة بن ساعد بجامعة الجزائر، والتي تناولت شخصية الأمير من النشأة، إضافة إلى إنتاجه الأدبي ومفهوم الجهاد والبيعة والشورى عند الأمير، رغم ما تناولته في موضوعها إلا أنها لم تتطرق للمرحلة التي جاءت بعد 1847م إلا في الحديث عن بعض إنتاجه الأدبي والفكري، أما الدراسة الثانية التي اطلعنا عليها وإن كانت بعيدة نوعا ما عن مجال بحثنا من حيث النمط والنوع إلا أنها تناولت الأمير في دراسة أكاديمية بعنوان "فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر الجزائري"، من إعداد فرعون حمو بجامعة بلقايد أبى بكر بتلمسان، تناول فيها نظرة الأمير إلى عدة أمور وحسب إطلاعنا المتواضع لم تقع بين أيدينا دراسة تتناول الموضوع المطروح.

إشكالية البحث: إن الحديث عن نشاط واهتمام الأمير في الشام يستدعي منا طرح الإشكالية التالية :

هل يمكن القول أن الأمير عبد القادر كرس حياته منذ 1847م، لخدمة المشرق العربي والدفاع عن القضايا الإنسانية، بعد أن كان كل اهتمامه منصبا على القضية الجزائرية؟.

مما يستوجب طرح التساؤلات التالية:

1-ما هي الدوافع الحقيقية التي دفعت الأمير للانتقال من عاصمة العثمانيين نحو المشرق ولاستقرار بدمشق؟.

2-كيف تعامل الأمير مع فكرة توليته إمارة الدولة العربية في الشام و التي سعت بعض الأطراف لتحقيقها؟.

3-ما هي أهم الآثار و الإنتاجات الفكرية والأدبية التي جاد بها الأمير في المنفى؟.

خطة العمل:

جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول جاء بعنوان الأمير عبد القادر يغادر الجزائر قسمناه إلى أربع مباحث تطرقنا فيها للحديث عن فترة أسر الأمير في السجون الفرنسية ثم لقاءه مع الإمبراطور نابليون الثالث وإطلاق سراحه كما تحدثنا عن فترة إقامته في تركيا في الفترة من(1853م إلى 1855م)، ثم قرار الأمير بالانتقال إلى الشام والاستقرار بدمشق .

تناولنا في الفصل الثاني الاهتمامات السياسية للأمير عبد القادر في الشام فتحنا فيها الحديث حول فتنه دمشق 1860م والدور الذي لعبه الأمير أثناء هذه الفتنة ثم علاقة الأمير بالماسونية، وموقفه من مشروع الدولة العربية وعلاقته بمشروع قناة السويس كما تطرقنا إلى دور الأمير في مساعدة المهاجرين الجزائريين وموقفه من ثورة المقراني 1871 م.

الفصل الثالث كان بعنوان الاهتمامات التربوية والروحية والفكرية للأمير عبد القادر في الشام فجاء في ثلاث مباحث، تحدثنا في الأول حول اهتمام الأمير بالجانب العلمي في تركيا وبلاد الشام، أما الثاني فتطرقنا فيه إلى الجانب الروحي وعلاقة الأمير بالتصوف والعمل الإنساني، والمبحث الثالث قمنا فيه بقراءة في مجموعة من مؤلفات الأمير النثرية والشعرية. وكانت الخاتمة متضمنة بعض الاستنتاجات التي خرجنا بها من البحث.

مصادر ومراجع البحث:

اعتمدنا في دراستنا على مصادر مهمة منها الكتب التي ألفها الأمير بنفسه مثل كتاب المواقف، رسالة إلى الفرنسيين، وهي كتب مصدرية ألفها الأمير في حياته إضافة إلى الكتاب الذي يعتبر من أهم المصادر إن لم نقل الوحيد، الذي تطرق إلى حياة الأمير منذ الولادة والى غاية وفاته "تحفة الزائر" لابنه محمد بن عبد القادر بجزأيه الأول والثاني، على الرغم من أننا لاحظنا خلال قراءتنا له أنه أهمل العديد من القضايا المهمة والمتعلقة بحياته كفكرة انضمامه إلى الجمعية الماسونية أو مشروع الدولة العربية الذي طرح على الأمير، أما المصدر الثاني فهو كتاب شارل هنري تشرشل "حياة الأمير عبد القادر" الذي تناول معظم فصول حياة الأمير من إملاءه رغم ما فيه من مبالغة في عدة مواضيع وخاصة الفصل الرابع والعشرون والأخير والذي لم يكن بإملاء الأمير وإنما من إعداد الكولونيل تشرشل باعتراف منه ورد في المقدمة، أما فيما يخص المراجع نذكر كتاب الأمير عبد القادر أساطير فرنسية وحقائق جزائرية للمؤلف محمد الشريف سحلي، وهو مجموعة دراسات حول مختلف التشويهات التي ألحقها به المؤرخون الفرنسيون، ويمكن القول أن الكتاب ورغم صغر حجمه فهو أفضل ما كتبه الجزائريون عن الأمير لحد الآن، أما كتاب حوار مع الأمير لـ ابن عوف فهو ترجمة اقتصادية اجتماعية وثقافية للأمير بأسلوب حواري بين الأمير عبد القادر والكاتب تطرق فيه لمختلف القضايا التي طرحت عن الأمير، وعدد من المقالات العلمية والثقافية الصادرة عن عدة مجلات نذكر منها : الثقافة، الأصالة، المصادر، الباحث البصائر،...إضافة إلى ملتقيات وأعمال حول الأمير.

منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف الأحداث والوقائع وشرحها وتحليلها بالاعتماد على الأدلة والبراهين، كما تخلل البحث استخدام المنهج المقارن ويظهر أحيانا من خلال المقارنة بين الروايات التي تناولت قضايا الأمير في المشرق.

صعوبات البحث:

من بين الصعوبات التي واجهتما في إعداد هذه المذكرة:

- المشكل الأكبر الذي عانينا منه هو تغيير موضوعنا بعد أن كنا قد قمنا بدراسة معمقة للبحث الأول، لكن رفض وهو ما أخرنا في الإطلاع أكثر على الموضوع الذي بين أيدينا.
- مشكلة ضيق الوقت الذي منح لنا لإعداد العمل، فلم يكن كافيا حتى نلم بكل الموضوع، ونطلع على مختلف المصادر والمراجع في هذا المجال حتى تكون الدراسة شاملة ووافية.

في الأخير نشكر الله ونحمده على إتمام هذا العمل، ثم الأستاذ المشرف أحمد بن يغزر الذي وقف معنا وساعدنا بنصائحه وتوجيهاته السديدة لإنجاز المذكرة، ونتمنى أن نكون وفقنا في معالجة الموضوع المطروح وأضفنا بصمتنا في حقل التاريخ الواسع.

الفصل الأول

الأمير عبد القادر يغادر الجزائر

المبحث الأول: الأمير عبد القادر أسيراً في فرنسا.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر ونابليون الثالث.

المبحث الثالث: استقرار الأمير في تركيا(1853م- 1855م).

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر في بلاد الشام.

المبحث الأول: الأمير عبد القادر أسيرا في فرنسا.

المطلب الأول: أسر الأمير عبد القادر.

استمر الأمير عبد القادر محارباً للفرنسيين نحو سبعة عشرة سنة، بقي فيها مدافعاً ومهاجماً ضد الفرنسيين وسلطات المغرب، التي اتحدت معهم ضد الأمير حيث قام سلطان المغرب[1] بقطع خط التجائه إلى جهة الصحراء، فاضطر الأمير التسليم للفرنسيين.[2] بعد أن تداول الأمير الرأي مع أعوانه جاء التسليم للفرنسيين، ثم إن الأمير جهز كتاباً في ذلك للجنرال لامورسيير(Lamoricière)[3] رئيس الجيوش الفرنسية يبلغه فيه بنيته، بشرط أن يتعهد بنقله إلى حيث يرغب[4]، فبعث رسولاً من حاشيته ليخبر الجنرال بقراره[5]، لما وصل الخبر للجنرال بادر إلى ورقة طبع عليها ختمه على بياض وأرسلها مع الرسول ليشترط فيها الأمير ما يريد، وبعث سيفه[6]. وأرسل إلى الدوق دومال(Daumal)[7] حاكم

---

(1)- هو عبد الرحمان بن هشام سلطان الدولة العلوية بالمغرب (1204-1276هـ /1709-1859م) حكم من 1822م إلى 1859م، تميز عهده بإمضاء عدة معاهدات مع الدول الأوروبية في غير صالح المغرب، وحاول التدخل في شؤون الناحية الغربية إثر سقوط الجزائر تحت الاحتلال، فانهزم في معركة أيسلي سنة 1844م، اضطر إلى توقيع معاهدة مغنية 1845م، التي نصت على غلق الحدود المغربية في وجه المقاومين الجزائريين والامتناع عن تقديم أية مساعدة للأمير عبد القادر. للمزيد انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، م3، دار العلم للملايين، بيروت 1970م، ص341.

(2)- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح: محمد بهجة البيطار،ج2، ط1، دار صادر بيروت1963م، ص892.

(3)- هو لويس بيكو دي لامورسيير قائد عسكري فرنسي (1805-1865م) حاكم مقاطعة وهران سنة (1840-1848م) كان للأمير معه معارك ومواقف عديدة، وهو الذي تعهد له باسمه الخاص وباسم ملك فرنسا أن يحمله إلى المشرق، لكنه لم يف بوعده، ولما عين وزيرا للحرب في 28 جوان 1948م والأمير في السجن بو، للمزيد انظر: الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة كتبها في السجن 1849، تح: محمد الصغير بناني و آخرون، ص36.

(4)- إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش، الموسوعة التاريخية للشباب، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984م، ص133.

(5)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر سيرته السيفية، ج1، دط، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية 1903م، ص324.

(6)- نزا ر اباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العلم المجاهد، ط1، دار الفكر، دمشق1994م، ص13.

(7)- هو ابن الملك لويس فيليب ملك فرنسا، تعهد مع الجنرال لامورسيير على حمله إلى المشرق وعائلته.

الجزائر الذي سارع للحضور وكتب إلى ملكه: "**ويكفيني أن أقرر بأني قد اتفقت معه أنه وعائلته يذهبان إلى عكا أو الإسكندرية وهذان المحلان هو الذي عينهما في شروطه وصادقت عليهما**[1]"، ويؤكد دومال أنه سوف يلتزم بوعده للأمير مع التزام الحكومة الفرنسية بهذا الوعد ويضيف: "**وإني ملتزم بأن أقوم بما اشترطه وقد عملت ذلك بكمال الاعتقاد من أن جلالتكم والحكومة تصادقون عليه مادام عبد القادر اعتمد على قولي و خطي**"[2].

تذكر بديعة الحسيني حفيدة الأمير نقلا عن بول أزان في كتابه (الأمير عبد القادر) أنه سلم بقضاء الله، وأرسل رسالة للدوق دومال والجنرال لامورسيير تضمنت الشروط التالية[3]: أن يحمل مع جميع عائلته إلى عكا أو الإسكندرية، أن لا يعترضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر، الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله[4].

رغم أن الأمير اختار طريق التسليم للفرنسيين، إلا أنه كان يهدف من ذلك إلى تجنب الصدام مع سلطان المغرب، والخروج بأقل الأضرار بتجنيب رفاقه في المقاومة الأضرار التي قد تنجم عن مواجهة فرنسا.

تعهد ابن ملك فرنسا والجنرال لامورسيير بتنفيذ شروط الأمير، ووضعت الترتيبات اللازمة لتسليم المقاومين، وتم ذلك في 23 ديسمبر 1847م في سيدي إبراهيم[5] يقول الأمير في ذلك: "**إن ما تكلم به المونسير معكم من الأمان والائتمان والإيصال حيث أردتم**

---

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، مصدر سابق، ج1، ص 324.

(2) - نفسه، ص324.

(3)-الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف، ط2، دار المعرفة، الجزائر 2008م، ص38.

(4)- عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر 2002م، ص139.

(5)- إسماعيل العربي، الأمير عبد القادر الجزائري، دط، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1984م ص134.

جوزناه وعلمنا به وأمناكم نحن كذلك "[1]، ويضيف الكلام فيقول: " **لقد قطع لي الجنرال عهداً، لي ملئ الثقة به، ولا أخشى أن ينقضه ابن ملك كبير مثل ملك الفرنسيين**"[2].

ركب الأمير وعائلته ومرافقيه وأتباعه ومجموعهم 97 مهاجر[3]، في السفينة اسمودس (Asmodeus) يوم 25 ديسمبر 1847م، واتجهت بهم حيث وجهها الفرنسيين[4] وقد أحدث خبر تسليم الأمير صدمة في أوساط الجزائريين، وخيم الحزن والبكاء، فاغتاظ الأهالي في وهران، واقترحوا على الجنرال لامورسيير منع الناس من البكاء فقال لهم: "**دعوهم يبكون فإن عزهم قد ذهب**"[5].

اختلفت أراء و مواقف الكتاب والمؤرخين حول ما قام به الأمير إذا ما كان استسلام أو تسليم، فيرى الكاتب حسين جمعة أنه أوقف القتال بين الأخوة في العقيدة والعروبة والوطن وحاول اجتناب فتنة الاقتتال مع الأشقاء المغاربة، وكذلك الحصار الفرنسي لذا قرر الهجرة خارج الجزائر، بعد مفاوضات صعبة وقاسية على قائد مثله[6].

أما الأميرة بديعة الحسيني حفيدة الأمير فتعلق على الموضوع بقولها: ماذا يعني النفي؟ أليس هو عقوبة من سلطة عليا على فرد أو أفراد، فما هي السلطة التي نفت الأمير؟ لابد أنها فرنسا، ولكن أعلى سلطة فيها كان يمثلها الإمبراطور وهو من أعطى الأمير حريته التي

---

(1)- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح تق وتع: يحي بوعزيز، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م، ص175.

(2)- برونو آتيين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، ط1، دار عطية، بيروت 1995م، ص233.

(3)- اختلفت الآراء حول مجموع المهاجرين فذكر تشرشل أن عددهم بلغ 88 في حين ذهب الجيلالي (ع) إلى أن عددهم بلغ أكثر من مئة وبالنسبة لشرشل فإن العدد الذي يورده خاص برفقاء الأمير الذين حولوا من ميناء طولون إلى قلعة لامالق، انظر: مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع 05، ص312.

(4)- بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، دط، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010م، ص154.

(5)- محمود بوعياد ،"**أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، ع75، الجزائر 1983م ص261.

(6)- حسين جمعة، "**التجربة النضالية الوطنية للأمير عبد القادر الجزائري**"، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب ع117، 2010، ص 21-22.

يقول تشرشل (Charles henry Churchill) في كلمة الإهداء إلى نابليون: "**إن نبل الشعور والغيرة على شرف فرنسا جعلتكم تطلقون سراحه تلقائيا دون شروط**"، وكل هذا يشير إلى اتفاقية الاستئمان الزمني بقصد الهجرة إلى بلد إسلامي، ولو كان الطلب استسلاماً لنال من وقع تلك الاتفاقية أرفع الأوسمة بدلاً من التوبيخ، والاضطرار إلى إلغائها وهذا دليل قاطع على عدم استسلامه، أيضا لأن الاستسلام والتسليم لا يستويان مع الاستئمان وعقد اتفاق بين الجانبين المتحاربين، فمن يستسلم ويخضع لخصمه لا يحق له رفع رأسه وإملاء شروطه، فما قام به الأمير هو اتفاق الاستئمان الزمني الذي كان سيضمن له الوصول إلى دار هجرته دون أذى أو منع وهو كتأشيرة الخروج من بلد ما بشكل قانوني[1].

يؤكد على ذلك الباحث الليبي محمد علي الصلابي، فيقول بأن الخروج كان لتحقيق مقصد الهجرة عن طريق الاستئمان الزمني، وهو طلب الأمان وإعطاء الفرصة للهجرة فعندما تسائل الحاضرون في مجلس الأمير، كيف الخروج إلى الهجرة من هذا المكان الذي نحاصر فيه؟ أجاب بن علال وكان من الفقهاء: سنطرق باب الاستئمان الزمني، قال الأمير: نعم أيها الأخوة سنطرق هذا الباب وهو معروف في الجهاد، والهجرة في ظروفنا هذه أصبحت حق علينا وإن لم نطرق بابها نكون آثمين بحق أنفسنا[2] قال تعالى: "**والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**".**(سورة النحل الآية41).**

في هذا نقول أن الظروف المحيطة قد أجبرت الأمير على التسليم، ورغم ذلك فهو لم يخضع للفرنسيين وأملى عليهم شروطه، لولا أنهم لم يحترموا كلمتهم ونقضوا عهدهم.

---

(1)- الأميرة بديعة الحسيني الجزائري، ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل، ط1، دار الفكر بدمشق، دمشق 2001، ص 15- 16 .

(2)- **الصلابي** محمد علي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دط، بيروت، دت 266.

المطلب الثاني: الأمير في مدينة طولون ثم مدينة بو.

في الرابع و العشرين من جانفي سنة 1847م رست البارجة في مرفأ طولون[1] (château de Toulon) في حالة انتظار، حتى تصل توجيهات من الدولة العثمانية[2] وإذ بحاكم طولون يقف أمام الأمير ليقول له إني مأمور بإنزالك هنا في برج لامالق الحربي (fort Damalgue)[3]، حتى تأتي الأوامر الجديدة من باريس[4]، وقد أفهم بأن هذه الفترة ضرورية للتنسيق مع الحكومات المعنية سواء التركية بالنسبة لعكا، أو حكومة مصر بالنسبة للإسكندرية[5]، وكانت الحكومة الفرنسية قد حرصت على تعيين[6] رجلين لديه حتى يكونا على اتصال دائم به للتخفيف من العذاب المعنوي للانتظار المطول، وهما العقيد دوما[7] (Eugene douma) قنصل فرنسا السابق في معسكر والقبطان بواسوني[8](le capitaine

---

(1)-- مدينة تقع جنوب شرق باريس على بعد 840 كلم وهو قاعدة بحرية وتجارية على ضفة البحر الأبيض المتوسط بها نزل مركب الأمير عندما حول اتجاهه وهو سائر إلى المشرق.

(2)-- الصلابي، مرجع سابق، ص267

(3)- وهو مبنى كبير يمكنه ضم عائلة الأمير وحاشيته، وتوفير الشروط الأمنية اللازمة وذلك أن اختيار هذا الحصن لم يكن عفويا لأنه مرفأ عسكري، حيث كان يقدم ما يكفي من ضمانات الحماية بسبب موقعه الاستراتيجي، لذلك اختارته فرنسا مقر للأمير.

(4)-- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2009م، ص 64-65.

(5)- boulem Bessaih ،de l'émir Abdelkader a l'imam Chamil .Alger 2009 .p194.

(6)- تعاقب على حراسة الأمير في فترة سجنه العديد من الشخصيات منهم الكولونيل لوروا والسيد روسو الترجمان، رافقاه خلال السفر من الغزوات إلى تولون والكولونيل دوما عند نزوله من الباخرة وإقامته في برج لامالق و القبطان بواسوني للمزيد انظر: تحفة الزائر وكتاب مذكرات الأمير.

(7)-- هو اوجين دوما (1803-1871م) قائد عسكري تخرج من مدرسة الخيالة برتبة نقيب مساعد، تدرج في عدة مناصب عسكرية، ثم عين مديرا للشؤون العربية بالجزائر 1844م ورقي لرتبة كولونيل على رأس الصبايحية ثم في 1850م، تولى إدارة الشؤون بوزارة الحرب وعين مستشارا بمجلس الدولة في فرنسا 1852م، ثم عضو مجلس الشيوخ واختير من قبل الملك للإقامة مع الأمير في تولون، ألف كتب كثيرة عن العادات والتقاليد الجزائرية، "الصحراء الجزائرية القبائل الكبرى عادات وتقاليد جزائرية، للإطلاع راجع كتاب: مذكرات الأمير.

(8)- هو ضابط ومسؤول سابق عن الشؤون العربية في المنطقة قسنطينة استبدل مكان الكولونيل دوما وانتقل معه إلى امبواز في 2 نوفمبر 1848م، وبقي بجواره حتى أطلق سراح الأمير.

capitaine boissonnait)، وهما يجيدان التحدث معه بلغة مطمئنة[1]، لكن الأمير شعر أن هناك نية غدر، وأن فرنسا أخّلت بوعدها، ولم تخنه فراسته وتأكد من الخديعة والغدر[2]، بعدما جاءه الكولونيل دوماس(colonel doumas) معيناً من قبل الملك للإقامة عنده، مظهراً له ما جاء لأجله وأخبره: "**إن كافة فرنسا عارضت إتمام ما وقع التعهد به من إرسالكم إلى المشرق، لذلك يعتذر لكم الملك في عدم الوفاء**"[3]، وكان الجنرال دوماس مكلف بتقديم أفضل العروض إذا رضي الأمير بأن ينسى ويترك الوعد الذي أعطي له من قبل، وعرض عليه مكانة مرموقة في فرنسا[4]، فأجابه: "**إني لا أقبل هذا ولو فرشت لي سهول فرنسا ومسالكها بالديباج وها أنا بين أيديكم فافعلوا ما بدا لكم ولا يمكن أن اترك طلب الوفاء بالعهد ما دمت حياً، ومن عجيب ما يسمع أنني كنت أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم ...والعار والعيب عليكم لا علي ولو لم ألقي بنفسي إليكم ما وصلتم لي**"[5].

لما خابت فرنسا في مسعاها المغري، عرضت على الأمير التوجه إلى باريس أسوة بإبراهيم باشا[6] خديوي مصر، عسى أن يغير رأيه لكن الأمير رد قائلا: "**إن إبراهيم باشا يرى باريس وغيرها من أمصار فرنسا منتزها له يمرح فيه كيفما شاء، وأما أنا فلا أرى فرنسا الآن إلا سجنا لي ولمن معي، فلا فرق عندي بين طولون وباريس**" وأضاف "**لو كنا نعلم أن الحال يؤول إلى ما إليه أل لم نترك القتال حتى تنقضي منا الآجال**"[7]، ومن هنا

---

(1)- بوعلام بسايح، الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فيليب إلى نابليون الثالث، تر: خليل أحمد خليل، وزارة الثقافة، الجزائر2007م، ص154.

(2)- الصلابي، مرجع سابق، ص267.

(3)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"سيرته القلمية"، ج2، دط، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الإسكندرية 1903م، ص6.

(4)- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر، تر : أبو القاسم سعد الله، دط، الدار التونسية للنشر، تونس1974م، ص251.

(5)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص6.

(6)- إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا (1203-1264هـ/ 1789-1848م) ولد بالروملي وتوفي في القاهرة .

(7)- عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، دط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري السعودية 2000م، ص50.

اعتبرته فرنسا أسيراً، ولم تكتفي بهذا بل ضيقت عليه، وحرمته من كتابة الرسائل ومنعت الناس من زيارته إلا بإذن خاص من وزارة الحربية[1].

في هذه الفترة ارتفعت الكثير من الأصوات الداعية إلى إنقاض شرف فرنسا أمثال: لامرتين، والجنرال كافينياك، وقد صاح الجنرال فابفييه (Fabvier) الذي كان البطل الشهير لاستقلال اليونان: "**إن كنتم تمسون بعهد فرنسا فوداعا أيها النصر**"، وكان الجنرال كافينياك قد كتب: "**ليس عبد القادر سجين البتة، إنما آثر الرجوع إلى ما سماه القانون الفرنسي ومن الأفضل أن يعطى لهذا القانون طلاء حزين على إظهاره بمظهر الحنث باليمين**"[2] وقد تأثر به الرأي العام الفرنسي والدولي، وعبر عنه بصفة خاصة في بريطانيا من طرف اللورد لندندري(lord Vane Londonderry)، الذي اهتز للموقف وكتب رسالة شديدة اللهجة إلى نابليون(prince louis napoléon) وألح عليه إطلاق سراح الأمير لينقذ شرف بلده وعدم نبذ عهودها، ووصل به الحد إلى التهديد بكشف المراسلات التي تثبت شروط معاهدة ديسمبر 1847م. كما تدخلت عدة شخصيات أخرى مثل الجنرال لامورسيير والأسقف الأول للجزائر أنطوان دوبيش[3] والدوق دومال[4].

في فبراير 1848م وصلت أخبار الثورة إلى عبد القادر[5] وقيام حزب الجمهور بالمطالبة بإبدال الملكية بالجمهورية، وقامت الفتنة في فرنسا، ولما رأى الملك ما آلت إليه الأوضاع خرج من باريس متخفيا، وانتصر حزب الجمهورية[6]، مما اضطر لويس

---

(1)- محمد مراد بركات، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دط، دار النشر الالكتروني، الجزائر 1990م، ص 23 .

(2)- بسايح، مرجع سابق، ص155.

(3)- أنطوان أدولف دوبوش، وصل إلى مدينة الجزائر يوم 30 ديسمبر 1838م، وهو من بوردو عين كأسقف بمدينة الجزائر، من المدافعين عن الأمير وكانت له مراسلات معه.راجع: زكي بوزيد، الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة ص141-142.

(4) الصلابي، مرجع سابق، ص270-271.

(5)- تشرشل، مصدر سابق، ص253.

(6)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص8.

فيليب(louis-Philippe)[1] للتنازل عن العرش، وتقلد الشاعر لامرتين وزارة الخارجية وانتخب شارل لويس نابليون ابن أخ بونابرت رئيسا للجمهورية[2].

بعد مرور أيام أرسلت الحكومة الجديدة الكولونيل اوليفيان(Olivain)، يتفقد أحوال الأمير وأخبره أن الحكومة تعذرت في إرساله خوفا من أن ينقض وعده، ويعود إلى الجزائر فأجابه أنه ليس في وسعه أن يعطي ميثاقا أقوى من الذي أعطاه للجنرال لامورسيير وأكده للدوق دومال والملك، ولو لم يرد التسليم والنزول عن الإمارة ما كان عندهم أسيراً[3] فطلب منه أن يوجه رسالة إلى الحكومة المؤقتة، فكتب ما معناه" **حضر عندي رسولكم الكولونيل اوليفيان وأخبرني بأن الفرنسيين اتفقت كلمتهم على إبطال الملك الاستبدادي وإبداله بحكومة جمهورية شورية**"،وأصر الأمير في رسالته على موقفه الذي طالب فيه الحكومة الفرنسية بالوفاء بعهدها وأنه لن يتخلى عنه فقال: "**وبناءا على ذلك أرجو أن تكشفوا عني ما أنا فيه من البلاء... وأعطيت لامورسيير عهداً و ميثاقاً على أني سلمت في أمري الذي كنت قائما به فإنه بالنيابة عنكم يحملني أنا ومن معي إلى الإسكندرية أو إلى عكا فأجاب إلى ذلك**"، وكان الأمير عبد القادر مستعداً للقسم أمام الفرنسيين إن اضطره الأمر إلى ذلك حتى يصدقوه: "**إن أمرتم بأني أقسم لكم بالقرآن العظيم أني لا انقض لكم عهداً ولا أخلف وعداً ولا أتعرض لكم في شيء فلا يثقل علي ذلك بل أقسم لكم** "[4].

---

(1)- (1773-1850م) ملك فرنسا من 1848م، الابن الأكبر للدوق فيليب انضم للحرس الوطني واشترك في مؤامرة ضد الجمهورية، اضطر للرحيل عن فرنسا 1814م، نودي به ملكا بعد رحيل شارل العاشر 1830م، عارضه الجمهوريين لأساليبه الاستبدادية ورفضه إصلاح الانتخابات وأجبر في النهاية على التخلي عن العرش وهرب إلى انجلترا. انظر: بن ساعد عائشة، "**البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر2003-2004م، ص29.

(2)- آتيين، مرجع سابق، ص249.

(3)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص9.

(4)- نفسه، ص10.

كتب اراغو(Arago) وزير الحربية الجديد أن هذه إحدى قضايا الشرق الوطني التي أورثنا إياها الحكم البائد، وكتب الجنرال دوما طلباً إلى وزير الحربية للمساعدة: "**يتبين أن من المستحيل إبقاء عبد القادر وجماعته في حصن لامالق..إن الإنسانية تأمر بذلك**"[1].

شعر الأمير أن الوثائق التي طلبت منه مقدمة لإطلاق سراحه، وأخيراً وصل الجواب الذي طال انتظاره وكان مضمونه: "**الجمهورية لا ترى نفسها مقيدة بأي التزام لعبد القادر وأنها تعتبره كما تركته الحكومة السابقة أسيراً**"[2] كان الرد صدمة قوية تحملها الأمير بصبر وأدرك أنه أمام عدو لا يعرف للكلمة قدراً ولا للشرف وزناً ولا للعهود اعتباراً[3] و تقرر إرسال الأمير إلى مدينة "**بو**"[4] (Pau) بقصر هنري الرابع مصحوباً فقط بأقرباء الأسرة والخدم، تولى كاتب الدولة الحربية الجنرال شاراس (Charras) مهمة إعلام الأمير بهذه الرسالة والتي جاء في مضمونها أنه سيبقى أسيراً وأصحابه سينقلون إلى جزر سان مرغريت(Saint-Marguerite) ما أغضب الأمير، وسعى الجنرال دوما للحصول على شروط إقامة لائقة[5]، راسل الأمير لامورسيير الذي تولى وزارة الحربية خلفاً لكافينياك (Cavaignac)[6]، يذكره بوعوده[7]. وذلك في مطلع جويلية 1848م وكتب رسالة يطلب فيها منه أن ينظر في الوعد الذي أعطاه له[8]، وجاء على لسان الأمير: "**لما حللنا بمدينة بو جاء مكتوبكم تذكرون فيه تعظيمنا وتلطفتم معنا وأنكم اخترتم لنا هذا الوطن الشبيه بالجزائر، وإننا عندكم كحال الضيف العزيز حتى تسرحونا لبلاد الإسلام**"[9]، وبعد وصول

---

(1)- تشرشل، مصدر سابق، ص256.

(2)- بسايح، مرجع سابق، ص161.

(3)- بن السبع، مرجع سابق، ص51.

(4)- مدينة بو على نهر "بو" تبعد 751كلم جنوب غرب باريس وهي المعتقل الثاني الذي نقل إليه الأمير بعد تولون.

(5)- بسايح، مرجع سابق، ص ص161-162.

(6)- (باريس 1802م- نانت 1863م) درس في المدرسة المتعددة التقنيات والمدرسة التطبيقية للمدفعية والهندسة أرسل إلى الجزائر 1832م كنقيب في الهندسة، عين جنرالا سنة 1844م بعد النجاح في اورلينفيل وترقى لرتبة لواء سنة 1848 بعد خمس سنوات من لامورسيير. للمزيد انظر شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص557.

(7)- ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، دط، مؤسسة ماجد الحكواتي للطباعة، الجزائر 2001، ص172.

(8) – Bessaih، OP.CIT، P213.

(9)- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م، تح: محمد صغير بناني محفوظ سماتي، محمد الصالح الجون، دط، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر2007 م، ص 203.

الأمير إلى "بو" استبدل دوماس بالنقيب بواسوني وأنزل الأمير في قصر" بو" في البرج المسمى "غاستون فوبوس"[1]، استقبل الأمير طيلة الفترة التي قضاها في بو من أفريل إلى نوفمبر 1848م زواراً ينتمون إلى عالم السياسة، الجيش الدبلوماسية الوجهاء، رجال الدين والضباط[2].

كان الأمير خلال فترة أسره من طرف الفرنسيين، يتنقل من مكان لأخر فكانت محطته الأولى في طولون ، ثم انتقل إلى مدينة بو، ورغم ما كان يلقاه من اهتمام إلا أنه كان يحس دائما نفسه في مكان غريب بعيد عن ما ألفه، فكانت نفسه دائما تتشوق للرحيل إلى بلد إسلامي يرتاح فيه، وينتظر أن تلتزم فرنسا بوعودها التي قطعتها رغم ما بدر منها في السابق.

(1)- آتيين، مرجع سابق، ص 253-254.

(2)- محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تع: حبيب شنيني، دط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر2007م، ص63.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر ونابليون الثالث.

المطلب الأول: الأمير في أمبواز.

لم تمض ستة أشهر على وجود الأمير في سرايا " **بو**" حتى نقل إلى مدينة بوردو (BAURDAU)، ثم إلى نانت (NANTE) ومنها إلى سراية أمبواز (AMBOISE)[1] التابعة لمقاطعة اورليان(ORLEON) في 12 نوفمبر 1848[2]، شعر الأمير بالإحباط بعد أن ضلت رسائله دون رد، ومخالفة الجنرالان لعهدهما وقيام مرافقيه بمحاولة انتحارية لتلطيخ شرف فرنسا ما دفع حكومة كافينياك (Cavaignac) إلى اتخاذ إجراء صارم يقضي بنقله إلى صرح أمبواز (château d'Amboise) ومنع عليه أي اتصال بالخارج[3].

رافق الأمير الرائد بواسوني[4]، بعد أن عزل عن عدد كبير من مرافقيه الذين نقلوا لسجن باكريت، فقد كانت السلطات متخوفة من خروج الأمير بالقوة بمساعدة مرافقيه الأشداء ولذلك شددت الحراسة[5]، بوصوله إلى أمبواز استقبله أسقفها دوبيش[6]، وفي هذه الفترة تزاحم عديد الناس من أنحاء فرنسا على زيارته منهم رجال السياسة الدبلوماسيين والعسكريين تحدوهم مشاعر الفضول والإعجاب[7]، وكان الأمير يكتب كثيرا إلى أصدقائه في بو والوزراء والجنرالات والمارشالات[8].

---

(1)- مدينة في دائرة تور، تقع على نهر اللوار بها ولد ومات شارل الثامن وقد استخدم قصره لإقامة الأمير عبد القادر (1848-1952م).

(2)- البيطار، حلية البشر...، ج2، مصدر سابق، ص893.

(3)- شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة (1827-1871م)، تر: جمال فاطمي، نادية الأزرق وآخرون، م1 ط1، دار الأمة، الجزائر 2008م، ص364.

(4) بسايح، مرجع سابق، ص197.

(5)- الصلابي، مرجع سابق، ص268.

(6)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر..، ج2، مصدر سابق، ص12.

(7)- تشرشل، مصدر سابق، ص258.

(8)- آتيين، مرجع سابق، ص261.

أرسل الأمير عدة رسائل إلى الجنرال لامورسيير والدوق اورليان اللذان وقعا أمامه على شروط استسلامه، وقام لامورسيير بمساعي كبيرة، إضافة إلى الأسقف دوبيش والدوق دومال للضغط على فرنسا، واستطاعوا في الأخير التأثير في السلطات العليا فسمحت بزيارته كما أمرت بلم شمله مع أهله وقادة جيشه السابقين[1].

في جانفي1849م دعى لويس نابليون(LOUIS NAPOLEON) إلى اجتماع عاجل لدراسة الموضوع، ودافع عن قضية الأسير، ورغم مواقف بعض الشخصيات أمثال بيجو(toma bige)[2]، شانغارني وفان راي الايجابية، فإن وزير الحرب الجنرال روليير (RULHIERE) رفض تحمل المسؤولية وعارض بشدة، أما بيجو فبعد هذا الرفض كتب إلى عبد القادر رسالة يقترح فيها حلا ضمنياً معناه قبوله تبني فرنسا وطناً له وأن يستقر بها[3]، ويقبل الإقامة التي يختارها صحبة مجموعة تليق بمقامه بانتظار نقله للمشرق، جاء رد الأمير: "**إن فرنسا ملزمة ازائي وإزاء نفسها، إن وعدكم لن أسقطه عنكم سأموت ووعدكم عندي حتى أفضحكم وحتى تعرف الشعوب والملوك قيمة الوعد الفرنسي[4]**".

ضل الأمير متمسكاً بما وعده الفرنسيين، فإما أن يطلق سراحه أو يقضي نحبه ويكون ذلك عاراً على فرنسا للأبد وهو يقول: "**لو جمعت فرنسا سائر أموالها، ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبداً، وبين أن أكون حراً فقيراً، لاخترت أن أكون حراً فقيراً، فلا تراجعوني**

---

(1)- الصلابي، مرجع سابق، ص269-270.

(2)- الماريشال توما بيجو من نبلاء بيكورني (فرنسا) الملقب بدوق أيسلي ولد بمدينة ليموج 1784م وتوفي سنة 1849م بوباء الكوليرا، انخرط في الجيش 1804م وشارك في الحروب التي خاضها نابليون الأول في 1836م عين قائدا لمنطقة وهران وخاض ضد الأمير معارك عدة انتهت بإبرام معاهدة التافنة 1837م التي اعترفت فيها فرنسا بدولة الأمير استدعي إلى فرنسا ليشغل منصب نائب البرلمان وفي 1840م عاد للجزائر وشغل منصب الوالي العام بعد استئناف الحرب بين الأمير وفرنسا بقي في الجزائر حتى 1847م، انتصر على الجيش المغربي 1844م في معركة أيسلي وأرغم ملك المغرب على طرد الأمير .للإطلاع انظر: تاريخ الجزائر المعاصر لشارل أندري جوليان، ص164و مذكرات الأمير ص115.

(3)- تشرشل، مصدر سابق، ص263.

(4)- الصلابي، مرجع سابق، ص270.

بمثل ذلك الخطاب"[1]، وجد الأمير عزاءه في كتبه ودراسته وعبادته فشغل نفسه بالكتابات الأدبية[2]، فداوم على تدريس العلم و إفادة الطلبة من جماعته، فقرأ الصغرى للسنوسي[3] ورسالة الإمام القيرواني في الفقه[4]، وقرأ صحيح البخاري وكتاب الشفا للإمام عياض[5] وعكف على الكتابة والتأليف شعراً ونثراً ومما ألفه خلال إقامته بأمبواز رسالة سماها "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد"[6].

نضم الأمير الكثير من قصائده خلال هذه المرحلة الصعبة من تاريخ حياته، وسميت هذه النظم باسم "المساجلات" وهي قصائد ومقطوعات شعرية كان ينظمها على سبيل المساجلة والمفاكهة مع العلامة محمد الشاذلي القسنطيني[7]، خلال تواجده في باريس[8] وذلك أن الحكومة الفرنسية بعد نقله إلى أمبواز، نظرت في إحضار مؤنس له في سجنه فأرسلوا إلى الجزائر بذلك، ووقع الاختيار على الشاذلي القسنطيني[9].

---

(1)- بن السبع، مرجع سابق، ص51.

(2)- تشرشل، مصدر سابق، ص264.

(3)- وهي أم البراهين في العقائد المعروفة باسم السنوسية الصغرى، بتصنيف الإمام السنوسي(832-895هـ).

(4)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص17.

(5)- كتاب في السيرة النبوية ألفه الفضل عياض (476-544هـ) بمراكش .

(6)- بركات، مرجع سابق، ص24.

(7)- من مواليد 1222هـ/1807م تلقى علومه في قسنطينة على يد مشاهير علمائها، عين في وظيفة قاضي مالكي في قسنطينة بمساعدة بواسوني وضل فيها حوالي 20سنة، تولى إدارة مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها 1877م، قام الشاذلي بثلاث رحلات لفرنسا و أوروبا، وثاني رحلة إلى بلجيكا وانجلترا والرحلة الثالثة (1849-1850م) كان هدفها مؤانسة الأمير أثناء سجنه بفرنسا وصل الأمير إلى باريس في 1849م وفي امبواز توطدت علاقته مع الأمير وتعددت الزيارات والمساجلات الشعرية بينهما فكانت له عدة أشعار ساجل بها الأمير أثناء إقامته بفرنسا وعدة قصائد في مواضيع أخرى، ثم عاد الشاذلي إلى قسنطينة في صيف 1850م.انظر كتاب: أبو القاسم سعد الله محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877م) دراسة من خلال رسائله وشعره دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م، ص18-69.

(8)- فؤاد السيد صالح، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، دط، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م، ص62.

(9)- البيطار، حلية البشر...،ج2، مصدر سابق، ص1303.

المطلب الثاني: لقاء الأمير عبد القادر ونابليون الثالث.

حكم لويس فيليب حوالي 16 سنة، وبسبب حدوث اضطرابات وأزمات كانت تنبأ بانتفاضة وشيكة، انطلقت يوم 22 فيفري 1848م، حيث كانت الاحتجاجات والمظاهرات تملئ شوارع باريس، ما تسبب في سقوط الملكية بفرنسا، وأعلنت الجمهورية في 24 فيفري وتألفت حكومة مؤقتة، وتم انتخاب مجلس تأسيسي وأقر الدستور وتأكد الطابع الجمهوري والديمقراطي للدولة[1]، وفي 10 ديسمبر 1848م انتخب لويس نابليون ملكاً ورئيساً للجمهورية بالاقتراع العام[2]، وبعدها انعقد مجلس خصوصي للنظر في أمر الأمير وكان رئيس المجلس لويس نابليون الثالث، والماريشال بيجو و شانغارني من أعضاء المجلس فتكلموا في قضية الأمير واختلفت الآراء، فمال نابليون إلى وجوب الوفاء بالعهد وأيده في ذاك بيجو وجماعة من الأعيان، وخالفه الباقون وكانوا كثر[3].

كان الأمير يقضي عدة ساعات مع الرائد بواسوني يسمع عن العادات والتقاليد الأوروبية، ويقوم بعديد المناقشات التي بلورة أفكاره في كتاب" **رسالة إلى الفرنسيين**" [4]، بعد بعد موت بيجو بالكوليرا عام 1849، لم تعد القضية تطرح إلا من طرف الأسقف دوبوش[5]. واستمر الأمير على هذه الحال، وبفضل بواسوني تمكن من مراسلة نابليون الذي أعلن في جولته الانتخابية عن تحويل الجمهورية إلى إمبراطورية في العام 1852م[6]، بعد أن أصبح ساخطاً على النزاعات الحزبية التي أحبطت مشاريعه[7]، فبعد أن تمكن من

---

(1)- عبد الكريم منصور بن عوف، حوار مع الأمير عبد القادر، دط، دار القدس العربي، الجزائر 2012م، ص138.

(2)- آتيين، مرجع سابق، ص262.

(3)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص18.

(4)- بسايح، مرجع سابق، ص185.

(5)- آتيين، مرجع سابق، ص263.

(6)- نفسه، ص266.

(7)- تشرشل، مصدر سابق، ص265.

السيطرة على زمام الحكم وأحس بالقوة عمل على استمالة الشعب والعسكر والأحزاب ولما سنحت الفرصة للبرنس لإنجاز وعده عمل على ذلك[1].

توجه الإمبراطور لزيارة أقاليم فرنسا، وعندما وصل إلى مدينة بلوه (Blois) أرسل إلى بواسوني في أمبواز، وعبر له عن رغبته في زيارة الأمير في مكان أسره[2] في 10 سبتمبر1852م، وكان الرئيس الفرنسي قد وجه رسالة يخبره بزيارته والغاية منها[3]، وعلى الرغم من العراقيل التي وضعت أمام هذه الخطوة بغرض عدم إتمامها، فإن نابليون كان مصمماً على قراره لأن ضرورة إنقاذ الشرف الفرنسي الذي طال تلطيخه بإخلاف الوعد سيطرت على عقله وأصبحت فوق جميع الاعتبارات [4] ومما جاء في الرسالة: "**إنني قادم لأعلن لك حريتك، إنك ستحمل إلى بروسة في منطقة السلطان ... إني أشعر بأن الشرف يقتضي أن أضع حداً لسجنك وأن أعتمد تمام الاعتماد على كلمتك**"، فقال الأمير: "**الآخرون قهروني ورموني في السجن، أما لويس نابليون فهو الوحيد الذي انتصر علي**"[5]، وطلب الإمبراطور أن لا يعتبر نفسه أسيراً وسيعوض عليه باختيار البلد الذي يريده[6].

وصل الأمير إلى باريس ولقي ترحيبا كبيراً من لويس نابليون الذي شكره على حسن صنيعه وأقسم له بالوفاء بالعهد الذي قطعه[7]، ثم دعاه إلى قصره، فقام الأمير بكتابة خطاب بعدما سمع حديث الجرائد التي تكلمت حول مجموعة من الشروط التي يفترض بأن نابليون كان قد اشترطها عند حضوره إلى أمبواز وعلق تسريحه على قبولها، فكتب الأمير ما معناه:" **لقد**

---

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص38.

(2)- تشرشل، مصدر سابق، ص265.

(3)- محمود بوعياد، مرجع سابق، ص262.

(4)- بن السبع، مرجع سابق، ص53.

(5)- تشرشل، مصدر سابق، ص266.

(6)- محمد كامل حسن المحامي، عظماء الإسلام الأمير عبد القادر الجزائري، دط، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت1995م، ص103.

(7)- آتيين، مرجع سابق، ص269.

جئت لسموك لأشكرك على أفضالك ...إنك من أولائك الذين يقيمون اعتراضات بلا طائل أو يخيبهم الرياء والنفاق، لقد وضعت ثقتك في ولم تصغ إلى اللذين لا يثقون بي"[1]، وقد رأى في نابليون الشخص الصادق الذي التزم بوعدٍ لم يكن قد أعطاه، رغم ذلك قام بواجبه وحقق مطلبه ويواصل الأمير قوله: " **لقد منحتني الحرية وأنجزت تعهدات كان الآخرين قد التزموا بها دون أن ينجزوها بل إنك فعلت ذلك دون أن تأخذ مني أي وعد**"[2].

قام الأمير بعديد الجولات في باريس، ووجهت له دعوات من الوجهاء والعلماء، وقام بزيارة الكنائس والأماكن المهمة، ووقف على المرضى والجنود وزار قبر نابليون بونابرت ومتحف المدفعية والمطبعة[3]، وصرح بعد زيارته: "**رأيت البارحة صناعة المدافع التي تهدم بها الحصون والقلاع، وفي هذا اليوم رأيت الحروف التي تغلب بها أسر الملوك وتخرب دولهم**"[4].

أخذ الأمير يهيئ نفسه للسفر إلى تركيا، وفي تلك الأثناء انعقد مجلس نواب الأمة الفرنساوية للمذاكرة في إبدال الجمهورية بالإمبراطورية، وشارك الأمير في الانتخاب، وبعد أن تم الانتخاب حكم المجلس للويس نابليون بالإمبراطورية[5] باسم نابليون الثالث (Napoléon 3) 3) وزاره الأمير في قصر سان كلود(Sainicloud)، فقام الإمبراطور بإهداء الأمير سيفاً مرصعاً قائلا له: "**اعلم أنني أقدم لك هذا السيف، وأنا على يقين بأنك لا تجرده على فرنسا**"، فأجاب الأمير: "**إنني الآن ممن يستعمل القلم، لا ممن يستعمل السيف**"، غادر عبد القادر من أمبواز مع عائلته ورفاقه في 11 ديسمبر 1852م[6].

---

(1)- تشرشل، مصدر سابق، ص268.

(2)- نفسه، ص268.

(3)- بسام العسلي، مرجع سابق، ص159.

(4)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص44.

(5)- نفسه، ص46.

(6) -bessaih.op-cit.p271.

رغم موقف فرنسا الرافض لانتقال الأمير إلى الاستقرار في بلد إسلامي، إلا أن مجيء نابليون الثالث مكن الأمير من تحقيق الوعد الذي بقي متمسكا به ولم يرضى بأي بديل عنه لكن قيام نابليون بهذا العمل إنما جاء لإنقاذ شرف فرنسا ومكانتها.

المبحث الثالث: انتقال الأمير إلى تركيا (1853م- 1855م).

المطلب الأول: الأمير في القسطنطينية ولقاء السلطان العثماني.

صدرت الأوامر بالإفراج عن الأمير ورحيله إلى القسطنطينية[1]، فسافر في أول ربيع الأول سنة (1269هـ/1852م) بأهله ومن معه من أمبواز إلى الأستانة[2]، على ظهر السفينة "**لابرادور**" ووصلها يوم (28-03-1269هـ / 09-01-1853م)[3]، وكان لا يمر في طريقه على بلدة إلا ويتلقاه أهلها بالفرح والسرور والتعظيم لما سمعوه عن جهاده وقوة صبره وعزيمته[4]، وعند وصوله إلى الأستانة قابل الصدر الأعظم رشيد باشا وشيخ الإسلام الإسلام العلامة عارف حكمت بك[5]، ثم توجه إلى جامع طوبخانة (Tophane) وقام بزيارة بزيارة معظم الأماكن والمعالم المعروفة فزار ضريح أبى أيوب الأنصاري الصحابي الجليل وقد كان ملهما بسيرته، وقبر صلاح الدين الأيوبي وجامع آيا صوفيا(Haia-Sophia)[6]

---

(1)- تقع في شمال غرب تركيا في التقاطع بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط،كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، احتلها العثمانيون في 1453م وأصبحت تدين بالدين الإسلامي، وأطلقوا عليها اسم اسطنبول.

(2)- فرعون حمو،" **فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر(دراسة انتروبولوجية)**"، إشراف: سعيدي محمد، قسم الانتروبولوجيا كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان، 2009م/2010 م، ص27.

(3)- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته، مرجع سابق، ص66.

(4)- البيطار، حلية البشر...، ج2، مصدر سابق، ص894.

(5) - بركات، مرجع سابق، ص25.

(6)- يعني اسمها "القديسة صوفيا" تقع في قلب القسطنطينية، بنيت تمجيدا لعظمة روما وهي أكثر الكنائس عظمة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية لم تكن مسجدا عندما تم بناءها، وإنما كنيسة واعتبرت البناء أعظم كاتدرائية بسبب نشأته في فترة العنف والشغب والحرائق في جانفي 532 ق م (ثورة يانكو الشهيرة) في عهد جاستنيان إمبراطور الروم وكانت بسبب الضرائب المرتفعة، تم البناء على يد رجلين ماهرين في علم الميكانيكا هما انثيس بيترالس وايزادور الكبير، تم افتتاحها في 27 ديسمبر 537ق م بعد ست سنوات من الانجاز، وبعد مرور 20عام على افتتاحها تعرضت لهزة أرضية في 14 ديسمبر 557ق م وتسببت في فلق القبة إلى نصفين وطالب جاستنيان بتصليحها، وقد شهدت عدة تغييرات وإصلاحات منذ بناءها. راجع: محمد حباله، معالم أثرية عملاقة "آيا صوفيا"، قناة ناسيونال جيوغرافي، أبو ظبي.

وعدة معالم أخرى[1]، وأقيمت له بعد ذلك حفلات استقبال من طرف السفير الفرنسي، أين دعيت إليها الشخصيات البارزة للجاليات الإفرنجية [2].

توجه الأمير إلى القصر السلطاني ونزل ضيفاً على السلطان عبد المجيد[3]، الذي استقبله بكل ترحاب، ورحب به الولاة العثمانيين أينما حل[4]، وتقدم إليه بقصيدة معبرة عن شكره واعتزازه بالدولة العثمانية التي وجد فيها الملجأ والمأوى[5]،ومدح السلطان بقصيدة كما قابل عنده الوزراء والأعيان وشعراء الدول الأجنبية، وتحادث معهم في الشؤون العالمية [6]. خلال قراءاتنا المتعددة ذكرت العديد من الكتب أن استقبال الأمير في القسطنطينية كان باردا وليس في مستوى الكتابات التي ذكرت الحدث وقالت عنه انه كان عظيم ويليق بالملوك وبأن معظم الأعيان والوجهاء الأتراك كانوا غير مبالين بوجود الأمير في المنطقة، رغم الأصداء التي أحدثها مجيئه وانتقاله نحو الشرق وقد أسند عدم الاهتمام هذا إلى سببين: كان أولهما نظرة الاستعلاء التي اتصف بها الأتراك منذ البداية والتي لاحظها وأحس بها السكان المنضوين تحت لواء الدولة العثمانية، والسبب الثاني أعاده البعض إلى تخوف وحسد العلماء وأصحاب المراكز المرموقة من المكانة التي يمكن للأمير أن يحصل عليها عند عامة الناس أو حتى عند السلطان نفسه، نظراً لعلمه الغزير وفكره الكبير.

---

(1) - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص53.

(2)- تشرشل، مصدر سابق، ص272.

(3)- ولد سنة 1237هـ الموافق لـ 1822م، استلم السلطة اثر موت والده محمود الثاني سنة 1839م، اقترن اسمه بحركة التنظيمات العثمانية، وكانت بداية عهده بالاضطرابات بسبب انتصار جيوش محمد على خديوي مصر عليه وخيانة قائد البحرية العثمانية وتسليمه السفن الحربية العثمانية إلى محمد علي، توفي في 1277هـ، أعلن في فترة حكمه خط شريف كلخانة الذي أعلنه أبو التنظيمات مصطفى رشيد باشا وغيرها. للمزيد انظر: كتاب تاريخ سلاطين بني عثمان، عز تلو يوسف بك أصاف ص120-121.وانظر: إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية"التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية"،ط1، مؤسسة الكتب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت1988م. ص213 وما بعدها.

(4)- محمد الهادي بوطارن،"**التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال عهد الأمير عبد القادر**"، مجلة الباحث تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ع06، 2012م، ص94.

(5)- سعيدوني، مرجع سابق، ص173.

(6)- أباظة، مرجع سابق، ص13.

ومن الكتاب والمؤلفين الذين تطرقوا إلى الموضوع "بوعلام بسايح" وعبر عن ذلك بقوله "**عندما ذهب الأمير لمقابلة السلطان عبد المجيد أعرب بأسلوب مبهرج عن حفاوة لم تكن تخفي ما وراءها من العداء**"، كما يضيف قائلاً: "**أقام المركيز دولافاليت عدة حفلات استقبال على شرف الأمير عبد القادر لكن أهالي القسطنطينية ظلوا غير مبالين باستقباله وإقامته**"[1]، ويشير تشرشل إلى نفس الموقف فيقول: "**استقبلوه بمظاهر تصنع الأدب والاحترام بمقتضى السياسة**"[2]، في حين أن هناك موقف أخر يذكر أن استقبال الأمير وإقامته في بروسة يختلف تماماً عما ذكره تشرشل، الذي علق عليه سهيل الخالدي في كتابه "الجزائر وبلاد الشام" حيث يذكر تشرشل: "**كانت البناية التي خصصتها الحكومة التركية لإقامة عبد القادر عبارة عن خان قديم مهدم وكثيرا من أجزاءها لا سقوف لها وقد حاول جهده أن يجعلها صالحة للسكن**"[3]، وقد علق سهيل الخالدي رغم أن الأمير والدولة العثمانية لم يكونا على وفاق تام خلال 17 سنة من الكفاح، لكن القول بأن سلطان مسلم ومهما بلغ من الظلم والغطرسة لا يسيء إلى ضيف مستجير حتى ولو كان ثقيلا وغير مرغوب به سياسيا [4]، ويضيف أخر فيقول: "**كانت جولة الأمير في المملكة العثمانية واستقبال الخليفة عبد المجيد له في اسطنبول، وفي بروسة بكل حفاوة وإكبار وإجلال**"[5] وهنا يمكن أن نقول بأن العلاقة التي جمعت بين الأمير عبد القادر والعثمانيين أثناء إقامته في الأستانة كانت مقبولة، إذ لا يمكن أن نجزم بسوئها خاصة إذا رأينا أن العلماء والفقهاء في بروسة قد التفوا حول الأمير واستفادوا من علومه ومعارفه الكثيرة، مع أن الوجهاء

---

(1)- بسايح، مرجع سابق، ص202.

(2)- تشرشل، مصدر سابق، ص272.

(3)- سهيل الخالدي، الجزائر وبلاد الشام صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال، ط1، منشورات دار الحضارة الجزائر 2013م، ص135.

(4)- نفسه، ص135.

(5)- الجيلالي عبود،" **محاضرة في تاريخ الأمير عبد القادر(من تاريخ الأمير عبد القادر)**"، مجلة البصائر، ع14، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1947م، ص127.

وأصحاب المناصب المرموقة قد نظروا إليه نظرة تخوف وحسد وربما ذلك راجع إلى المكانة التي حظي بها الأمير أينما كان يتواجد، والملاحظ أن ابنه محمد من خلال كتابه "تحفة الزائر" لم يذكر شيئا عن المعاملة السيئة التي لقيها والده أثناء تواجده في تركيا، ولو كانت كما ذكر البعض بأنها مشينة لما تغاضى ابنه عن الحديث عنها.

المطلب الثاني: استقرار الأمير عبد القادر في بروسة.

غادر الأمير القسطنطينية، ووصل إلى بروسة[1] في 7 ربيع الثاني 1269هـ/17 كانون الثاني 1853م، وقد اهتم الأمير بكل ما يتعلق بالسكن والاستقرار لعائلته وأتباعه رغم المراقبة الشديدة التي فرضت من طرف الحكومة الفرنسية[2]، كان خليل باشا صهر السلطان ووالي بورصة في استقبال الأمير ومن معه من المهاجرين، كما استقبله أعيان البلد ورجالاتها المرموقون وتوجهوا نحو الأمكنة التي أعدت لهم بالأمر السلطاني في بورصة[3].

انتظمت حياة الأمير وأقبل على العبادة والعلم، وإفادة الناس ورعاية الأهل فعبر عن سعادته لوجوده في بورصة بقصيدة "عليّ محال بلدة غيرها أرى"[4]

بعد مرور أيام من استقرار الأمير جاءه خليل باشا بأمر من السلطان المعظم، يخبره أن مراد الدولة العلية أن تعين له معاشاً يكفيه مع الاتساع، لكن الأمير اعتذر لأن إمبراطور فرنسا عين له ما يكفيه ويكفي من معه[5]، وبعد أن استقر المقام بالأمير انضم إليه مجموعة مجموعة من أصدقائه ورفاقه منهم الحاج عبد القادر بوكيخية والعلامة الحاج محمد الخروبي

---

(1)- بورصة أو بروسة مدينة صغيرة في غربي تركيا، فتحها اورخان بن عثمان سنة 726هـ/1326م اتخذها العثمانيون عاصمة(1326-1365م) بعد فتح القسطنطينية في فترة العثمانيين كان يطلق عليها (خداوندكار) تعني هدية الله تنتشر فيها أضرحة السلاطين، أصبحت أول عاصمة للإمبراطورية، نشأت في 186ق م.انظر:.وحلية البشر للبيطار ص896.

(2)- آتيين، مرجع سابق، ص 276-279.

(3)- الصلابي، مرجع سابق، ص278.

(4)- سعيدوني، مرجع سابق، ص174.

(5)- البيطار، حلية البشر...، ج2، مصدر سابق، ص896.

القليعي والعالم قدور بن رويلة وغيرهم وكان هؤلاء جميعاً أسرى أطلق سراحهم بعد استقرار الأمير في المشرق فوجدوا لديه الملاذ والحمى، وأمر ببناء دور لسكناهم[1].

شغل الأمير وقته بالقراءة في الجامع والدراسة والعبادة[2]، كما ألف في هذه الفترة من إقامته ببروسة رسالته المعروفة باسم "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"[3]، وكان يكثر من الصدقات ويكرم المحتاجين فأخذ العلماء وأصحاب الحاجة يقصدونه من كافة بلاد العالم الإسلامي[4].

من بورصة توجه لزيارة اسطنبول (1270هـ / 1854م) ثم سافر إلى مرسيليا وزار باريس فحظي بكل التقدير[5]، وقد كان عبد القادر يرغب في تغيير مكان منفاه لكنه استحى من الطلب، وبعد زلزال 1855م، الذي أوشك على خراب جميع بروسة أعطاه الفرصة لفتح الموضوع بعد لقاء الإمبراطور نابليون الذي وافق على طلباته[6]، فرحل عن بروسة بعد حضور احتفال الشكر في باريس بعد سقوط سيبستبول (Sébastopol)[7]، حيث أقيم الاحتفال في كنيسة نوتردام أين التقى بالإمبراطور الفرنسي نابليون[8]، ثم رجع إلى الأستانة، ورفع أمر انتقاله نحو دمشق إلى الباب العالي، وصدرت أوامر الدولة العلية إلى

---

(1)- الصلابي، مرجع سابق، ص278.

(2)- تشرشل، مصدر سابق، ص275.

(3)- صالح السيد ، مرجع سابق، ص66.

(4)- الصلابي، مرجع سابق، ص279.

(5)- سعيدوني، مرجع سابق، ص174.

(6)- تشرشل، مصدر سابق، ص277.

(7)- شكل سقوطها انتصار الحلفاء (الدولة العثمانية، فرنسا، بريطانيا) على روسيا في حرب القرم (1853-1856) حيث حاصروا المدينة واغرقوا كثيرا من سفنها، اتحدت السفينة التشريفية والمحمودية مع السفن الأوروبية فهدت القلعة. للمزيد انظر: حياة الأمير لتشرشل، ص276. و إبراهيم بك حليم، مرجع سابق ، ص215.

(8)- تشرشل، مصدر سابق، ص277.

محمود نديم باشا[1] والي دمشق ليستعد لملاقاة الأمير، وبعد أن أتم الأمير مأربه في الأستانة جاء إلى بروسة وفي 5 ربيع الثاني1272هـ /1855م خرج بمن معه وركبوا باخرة فرنسية إلى بيروت[2].

رغم أن الأمير كان يستقر في بلد إسلامي كما كان يتمنى أثناء سجنه بفرنسا، إلا أنه لم يستطع مواصلة العيش وكان يتحين الفرص من أجل طلب المغادرة حتى تم له ذلك وغادر نحو مستقره الأخير.

(1)- محمود نديم باشا (1881-1883)، سياسي عثماني، من أصول كردية عمل في الخارجية العثمانية وكان واليا على دمشق وعلى طرابلس الغرب، تولى الصدارة العظمى مرتين في عهد السلطان عبد العزيز، الأولى(1871-1872م) والثانية (1875-1876م) أثناء صدارته وفر الفرصة لفريق المحافظين لكي يسيطر على شؤون الدولة ويعزز نظام الحكم المطلق والحكومة المركزية،كان على علاقة وثيقة بالسفير الروسي اجناتيف.للمزيد انظر: إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، دط، مكتبة العبيكان، الرياض 1995م.

(2)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص66.

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر في بلاد الشام.

المطلب الأول: أسباب اختيار الأمير دمشق.

غادر الأمير عبد القادر الأستانة نحو الشام[1]، ووصلها في 1856م، وكان في البداية اختار القسطنطينية كدار للهجرة بعد خروجه من سجنه في فرنسا، لكن الأمير اختار الارتحال إلى دمشق، على الرغم من أن أحد بنود التسليم التي جاءت في الموثق الذي عقده مع الفرنسيين عند التسليم كانت تقضي بأخذه إلى عكا بفلسطين أو الإسكندرية كدار هجرة واغتراب، فما هي الأسباب التي اجتمعت لدى الأمير وجعلته يغادر من بروسة إلى دمشق؟.

اجتمعت لدى الأمير مجموعة من الأسباب نذكر منها:

1) – قضى الأمير ثلاث سنوات في تركيا، واجه خلالها الكثير من الصعوبات اللغوية التي كانت سبباً في فتور التواصل مع الآخرين[2]، ولذلك كان الأمير يشعر أنه في أرض الغربة فقليل من القوم كان يفهم لغته[3].
2) – كان الأمير يعرف دمشق إذ قضى فيها وقتاً في حجته مع والده، قبل أن يتولى قيادة الحرب ضد الفرنسيين، وكانت دمشق تحفل بمآثرها الرمزية والروحية التي تكون قد تركت الأثر الحسن في وجدان الأمير، فضلا عن ذلك فإن دمشق كانت موطن إمارة الحج وملتقى الوفود والجموع من شتى بلاد الشرق الإسلامي، ولذلك كان الأمير

(1)- سميت بالشام لأنها تقع شمال الكعبة وقسمها الجغرافيون إلى خمسة مناطق، أصبحت بلاد الشام ولاية عثمانية ابتدءا من سنة 1516م، حيث استطاع السلطان سليم التغلب على المماليك في مرج دابق لكن الوضع تغير مع نهاية القرن 16م بظهور حركات انفصالية عن الدولة العثمانية.للمزيد راجع: نصيرة حناش، فاطمة الزهراء رالم احمد، النهضة التعليمية والثقافية في بلاد الشام ومساهمة الجزائريين فيها 1831م–1914م، ص 11.

(2)- عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر والأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2009م، ص253.

(3)- صالح السيد ، الأمير متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص66.

يحس بنوع من العزلة عن لقاء المعارف[1]، لاسيما من الأقطار العربية و الإسلامية بل إن طوائف من مريديه وأتباعه كانوا قد تناثروا في تونس وطرابلس ومصر والحجاز وفلسطين وسكنوا الشام والعراق، وكانوا يراسلونه ويثيرون عواطف الشوق فيه، فكان ذلك يزين له الانتقال، خاصة وأنها لا تبعد عن الباب العالي وتشارف على بقية أقطار المشرق ثم إنها على مقربة من البقاع المقدسة[2].

3) – كان اختيار دمشق كمقر وموطن للأمير على أساس ما يميز هذه المنطقة من الصفات والسمعة التي كانت تكتسبها، إضافة إلى مناخها وطبيعتها الجميلة التي كانت تذكره بالجزائر[3]، فالتشابه بين طبيعة المنطقتين لا يشعر الوافد إليها بالغربة أو صعوبة التأقلم، فالتشابه كبير بين دمشق وتلمسان وفاس[4].

4) – يذكر عشراتي سليمان في كتابه "الأمير عبد القادر في بلاد الشام" أنه من الأسباب التي جعلت الأمير ينتقل إلى دمشق أنه: "**لا يستبعد أن يكون الأمير قد استدرج إلى الإقامة في دمشق من قبل فرنسا ذاتها لأنها رأت فيه الفاعل المثالي**

---

(1)- تعود هجرة الجزائريين لبلاد الشام إلى فترة مبكرة، فقد انتقل الكثير من المغاربة وخاصة الجزائريين لبلاد الشام إما لأغراض دينية، علمية، تجارية أو الثلاثة معا، أما بعد الاحتلال فأصبحت الهجرة اضطرارا، حتم عليهم المحافظة على أرواحهم وأعراضهم ودينهم، فقصدوا بلاد الإسلام والعروبة خاصة سوريا التي استقطبت أكبر عدد من المهاجرين خاصة بعد هزيمة الأمير عبد القادر، وكان هؤلاء من أتباعه ثم التحق بهم الأمير بعد إطلاق سراحه 1852م، ويمكن تقسيم هجرة الجزائريين لبلاد الشام إلى أربع موجات أولها سنة 1847م وآخرها سنة 1914م أما الأولى فهاجر فيها أحمد بن سالم خليفة الأمير، وآخرون، والثانية جاءت بعد هزيمة المقراني والحداد 1871م، والثالثة بتشجيع من النظام الاستعماري قصد مصادرة أراضي المهاجرين والأخيرة في 1900–1914م، بسبب الخناق والضغط المفروض من الحاكم العام "جونار" وقانون التجنيد الإجباري.للمزيد انظر: الطاهر سبقاق، "**إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1830م–1914م**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع11، ص 170–171.

(2)- سليمان عشراتي، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق (ملحق بكتاب 10سنوات في ارض الإسلام للجاسوس ليون روش)، ط1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر 2011م، ص41–42.

(3)- احمد الحلواني، "**دمشق الشام والأمير عبد القادر، أعمال الملتقى الدولي،"الأمير واجب الذاكرة وتحديات الساعة**" أيام 25 و26 ماي 2005م، منشورات مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر ،ص78.

(4)- الطاهر سبقاق، "**إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1332/1245هـ – 1914/1830م**" مجلة الواحات للبحوث والدراسات، قسم التاريخ جامعة ورقلة، ع11، 2011م، ص166.

المرشح لتنشيط سياستها ومناوراتها في بلاد الشام"[1]، ويؤكد الكاتب على قوله فيقول أن ارتحال الأمير إلى دمشق دليل على أنه تأكيد لمخططات وتدابير رسمتها فرنسا وأوعزت بها، فلا يستبعد أن تكون هي على الأقل قد أيدته لما رأت في انتقال الأمير لبلاد الشام من نفع يخدم سياستها التقسيمية ويفيدها في كسب الموطإ الاستعماري الذي كانت دول الغرب تتنافس في الظفر به[2].

5) –من الأسباب التي دفعت الأمير لمغادرة بروسة، أنه كان دائم الإحساس بالغربة والحنين[3]، إضافة إلى الحساسية التي كانت بينه وبين العثمانيين وخاصة العلماء الذين كانوا يتخوفون من مكانته ويحسدونه لعلمه الغزير، إضافة إلى فئة الأفندية التي كانت تتعالى في فخرها فقلما كانوا يلاحظونه فآثر الأمير الرحيل إلى دمشق[4].

6) أما السبب الذي اتفق عليه كافة المؤرخين فهو الزلزال الكبير الذي هز مدينة بروسة وتسبب في دمارها[5]، فلما رأى الأمير ما أصاب المدينة من الزلازل ورأى أن جماعته قد ضاقت صدورهم من الإقامة بها حسن لديهم الرحيل إلى دمشق[6].

المطلب الثاني: استقرار الأمير في دمشق.

بعد أن توفرت للأمير عبد القادر الأسباب الكافية التي جعلته يقرر الانتقال من بروسة والاستقرار في دمشق، ونيل الموافقة من السلطان العثماني والإمبراطور الفرنسي عزم على الرحيل.

---

(1)- عشراتي، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق...، مرجع سابق، ص42.

(2)- نفسه، ص81.

(3)- بن السبع، مرجع سابق، ص55.

(4)- صالح السيد ، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص 66 .

(5)- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر 2005م، ص210.

(6)- البيطار، حلية البشر...،ج2، مصدر سابق، ص 896.

في 24 نوفمبر 1856م، وصل الأمير وأتباعه إلى بيروت[1] فاستقبله أهلها ووالیها نامق باشا استقبالاً كريماً، واجتمع أهالي المنطقة لملاقاته في جبل لبنان (الأمراء، المشايخ العلماء، أل رسلان، حكام الدروز)[2]، وذكرت بعض الكتابات أن الأمير في طريق رحلته إلى دمشق حل ضيفاً على الكولونيل تشرشل[3] ليلة واحدة حسب الدكتور سعد الله في مقدمة ترجمته لكتاب حياة الأمير عبد القادر: "**توقف الأمير عند توجهه إلى دمشق سنة 1855 عند صديقه تشرشل في جبل لبنان وبات ليلته عنده**"[4]، في حين نجد أن هناك كتابات أخرى لم تتطرق لهذا الموضوع، ربما تكون قد أغفلته أو لأن الأمير لم ينزل عنده.

أما في قرية دمر[5] فقد خرج لاستقباله والي دمشق محمود نديم، وعزت باشا رئيس العسكرية وغيرها من أصحاب المناصب والمأمورين وأشراف البلد وعلماؤها وأعيانها[6].

فور وصول الأمير عبد القادر إلى دمشق توجه لزيارة ضريح ابن عربي[7] ثم نزل بدار عزت باشا الرئيسي[8] كان الأمير عبد القادر منذ وصوله إلى دمشق محط

---

(1)- تشرشل، مصدر سابق، ص277.

(2)- أباظة، مرجع سابق، ص15.

(3)- ولد في مدراس بالهند عام 1807م والتحق بالجيش البريطاني 1827م، التقى بالأمير في عام 1853، وكتب سيرته الشخصية من إلقاء الأمير نفسه ونشر الكتاب في لندن 1867م، توفي في العام 1869م.للمزيد انظر: عبد الكريم منصور بن عوف، حوار مع الأمير عبد القادر مرجع سابق، ص 160-161-162. وانظر كتاب حياة الأمير لهنري تشرشل.

(4)- تشرشل، مصدر سابق، ص14.

(5)- تدمر سميت بتدمر بنت حسان، وزعم آخرون أنها مما بنته الجن لسليمان عليه السلام، لكن أهل تدمر يذكرون أن بنائها قبل سليمان بكثير وتقع هذه المدينة شرق حمص وهي من المدن الداخلية، امتلك الأمير فيها بيتا، للمزيد انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، ط3، دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق 1994م، ص31.

(6)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص67.

(7)- هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن احمد الحاتمي الطائي الأندلسي (560-638هـ/1165-1240م) متصوف أندلسي شهير، ولد في مرسيه جنوبي شرق الأندلس عكف على دراسة جميع العلوم المعروفة في عصره ، توفي بدمشق، له كتب كثيرة منها الفتوحات المكية ، مفاتيح الغيب وأخرى للإطلاع راجع: يحي بوعزيز،"**الحياة الروحية للأمير عبد القادر**"، ملتقى الجزائر من 29 يونيو إلى 1 يوليو 1998م منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ص28-29.

(8)- بن السبع، مرجع سابق، ص56.

أنظار واهتمام العلماء[1] والفقهاء والمثقفين والمفكرين أكثر من غيره، وهذه المكانة التي بلغها تعود لأكثر من سبب منها[2] : لأنه شريفا من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) فهو حسني الأصل و عالم من العلماء كما أنه جاهد في سبيل الله سبعة عشر سنة[3].

قام الأمير بتنظيم حياته حتى يبرهن للأتراك أنه لم يكن ينوي الاهتمام بالشؤون السياسية، فقد كان يقضي أيامه في التعليم والتعلم وقراءة الكتب ومنها كتب ابن عربي[4] فاللقاء بالأمير والجلوس في مجلسه والاستماع إلى كلامه شكل لدى أهل الشام واجباً ونفعاً فكان يزيدهم علماً بدروس دورية وتكونت حوله حلقة درس ديني يوميا في جامع بني أمية[5] وكان القرآن والحديث النبوي هما قاعدة النقاش، وخلافاً للمعلمين الآخرين امتدت دراسته إلى اختياره نصوص من أعمال أفلاطون وأرسطو من مكتبته الخاصة التي بدأ يعيد تجميعها[6]، ولحرص الأمير على العلم ونشره قام بشراء دار في دمشق سماها دار الحديث وأصبح الأمير العالم ينتقل من جامع إلى أخر يشرح ويعلق ويبين، فكان يتردد مرة على المدرسة الجقمقية وفي المشهد الحسيني والمشهد السفرجلاني وأخرى بالجامع الأموي[7].

---

(1)- بعد هجرة الأمير واستقراره في بلاد الشام وجد العديد من العلماء الذين كانوا قد سبقوه منهم الشيخ الزاوية الرحمانية والمهدي السفاقسي والشيخ احمد بن سالم، والشيخ محمد المبارك وشقيقه الشيخ الطيب والشيخ صالح الجزائري و الشيخ الخروبي القلعي وكان هؤلاء من كوادر الجزائر الحديثة وانضم إلى هؤلاء علماء الشام ومنهم الشيخ أمين الجندي، الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي والشيخ محمود حمزة فقيه الشام وعبد المجيد الخاني والشيخ حليم العطار والأديب الشاعر محمد الهلالي البيروتي والشيخ فقيه الدين الحنفي وآخرون.للمزيد راجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر والحوار في خدمة الإنسانية، الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر و القيم الإنسانية، ص34.

(2)- بوطارن، مرجع سابق، ص95.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص68.

(4)- بسايح، مرجع سابق، ص213.

(5)- الحلواني، مرجع سابق، ص79.

(6)- تشرشل، مصدر سابق، ص278.

(7)- بن السبع، مرجع سابق، ص56.

وقد تبنى العلماء والنخبة الدمشقية الأمير (باشا المغاربة) وهو اللقب الذي أطلق عليه هناك، فساهم بشكل كبير في التعريف بالفكر المغاربي لدى المشارقة[1]، وعمل على توطيد العلاقات مع السلطات القائمة في الشام، التي ساعدته في شراء ضاحية واسعة جنوبي دمشق، أين استقر الجزائريون يعملون في مجال الزراعة، وكان الإنتاج مصدر رزقهم وعاملا على سد النفقات المعيشية والإدارية، فقد نظم الأمير المزارعين وجعلهم سنداً لدعم الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي لآلاف الجزائريين الذين اختاروا دمشق موطن لهم[2]، وقد قام الأمير بشراء العديد من الأملاك في دمشق سوءاً كانت منازل أو مزارع له ولمن معه من أتباعه وحتى من العلماء والفقهاء منهم من خصص لهم مرتبات من ماله الخاص[3].

لعب استقرار الأمير في دمشق دوراً كبيراً في تنشيط الحياة في الشام، خاصة الحياة الثقافية والأدبية والعلمية، فقد أصبح الأمير قبلة علماء دمشق يسألونه في عدة قضايا استعصت عليهم، ويستشيرونه في كل أمورهم.

(1)- بوطالب، مرجع سابق، ص256.

(2)- عدنان ونسيم بوزيد، الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة، دط،دار منشورات زكي بوزيد، الجزائر 2007م، ص282.

(3)- أباظة، مرجع سابق، ص15-16.

الفصل الثاني

الاهتمامات السياسية للأمير في بلاد الشام

المبحث الأول: فتنة دمشق 1860م.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر والماسونية 1860–1865م.

المبحث الثالث: موقف الأمير من بعض المشاريع.

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر والجزائر.

المبحث الأول: فتنة دمشق 1860م.

المطلب الأول: الخلفيات التاريخية لأحداث دمشق.

تتميز التكوينات البشرية لبلاد الشام بتنوع الطوائف، واختلاف المذاهب وتباين العقائد مما كان له بالغ الأثر في زيادة حدة الأطماع الأوروبية[1]، فنجد فيها الأغلبية المسلمة السنية والشيعية والمسيحية التابعة لكنيسة روما والموارنة[2]، والكلدان والأرمن والكاثوليك والطائفة المسيحية الغير تابعة لكنيسة روما من اليونان والأرثوذكس والأرمن ثم الأقلية اليهودية[3]، وكان للموارنة بين هذه الطوائف العديدة وضع خاص لارتباطهم بكنيسة روما ولصلاتهم المتميزة مع فرنسا، وكان العدد الأكبر يتركز في جبل لبنان[4]،ما سبب ظهور العديد من الاضطرابات في بلاد الشام، كما تراكمت العديد من الأسباب التي مهدت لوقوع مذابح بين المسيحيين والمسلمين ومنها:

1-كانت البدايات الأولى لهذه الأحداث منذ عهد محمد علي[5]، فبعد احتلال دمشق سنة 1831م اختار محمد علي وزيراً ومستشاراً مسيحياً من "الأرثوذكس وكان

---

(1)- بن عوف، مرجع سابق، ص147.

(2)- مجموعة دينية تقطن في سواحل بلاد الشام ولبنان، وتتبع الكنيسة المارونية، تعود تسميتهم لمارون الراهب السرياني الذي عاش في شمال سوريا في القرن 4م، وانتقل لاحقاً أتباعه إلى جبل لبنان ليقترن اسمهم به خلال القرن 10م،.

(3)- سعيدوني، مرجع سابق، ص80.

(4)- نفسه، ص80.

(5)- ولد محمد علي 1769م، انتظم محمد على في القوة التي اشتركت في واقعة أبى قير لطرد الفرنسيين من مصر وعند خروج الفرنسيين منها استطاع كسب العلماء في مصر وعين واليا على ابتدءا من 18 جانفي 1805م انتهج سياسة داخلية ركز فيها على توطيد سلطانه بعدما تخلص من المماليك، وانتهج سياسة خارجية قوامها وحدة المملكة العربية فجهز أربع حملات عسكرية الأولى: إلى الجزيرة العربية(1811- 1818م) الثانية: إلى السودان(1819-1821م)، الثالثة إلى اليونان(1822-1827م)، والرابعة إلى بلاد الشام وتركيا(1831-1841م) حقق من خلالها نجاحا عسكريا أثار مخاوف الدول الأوروبية، وبعد انتصاره عقد صلح اعترف فيه العثمانيين لمصر بالبلاد التي أشرفت عليها. للمزيد راجع: محمد صبري، تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996م، ص31 وما بعدها. وراجع أيضا: عايض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية(1831م-1839م)، دط مطابع جامعة أم القرى أم القرى 1986م.

الهدف من ذلك تحسين ظروف النصارى الذين كانوا يعانون من انتهاكات ومضايقات لحرية عبادتهم، وتمكنوا من بناء مطرانيه وكنائس و دور للعبادة في الشام، والقيام بممارسة طقوسهم وشعائرهم علناً وأظهروا استكباراً اتجاه المسلمين مما أدى إلى رد فعل جماعي 1840م حيث وقعت مذابح الروم الأرثوذكس[1].

2- اعتماد إبراهيم باشا أسلوب إداري يقوم على مبدأ المساواة بين الطوائف في المعاملات، الأمر الذي أخل التوازن وأضر بالامتيازات والمكتسبات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها بعض الفئات على حساب الأخرى، فكان ذلك تمهيداً لتعاون بعض الطوائف مع الدول الأوروبية مباشرة والتزود منها بالسلاح والمال دون اعتبار لمصالح الدولة العثمانية وسيادتها[2]، فسمح للإنجليز بالاتصال بطائفة الدروز بينما ساندت فرنسا الطائفة المارونية وشجعتها على الوقوف ضد من يمس مصالحها، مما هيأ الظروف لبداية حدوث الاضطرابات بعد ذلك بين طائفتي الدروز[3] والموارنة منذ عام 1845م[4].

3-اندلاع حرب الكريمي في 1854م التي هاجمت فيها القوات الفرنسية – البريطانية سواحل البوسفور لمساعدة تركيا للحفاظ على سيادتها، وهو ما أتاح الفرصة لمسيحي دمشق حتى يهزؤوا من تركيا التي اضطرت لطلب المساعدة من أوروبا المسيحية، وهو الأمر الذي أثار المسلمين من جديد، وبعد هزيمة سباستبول وعودة

---

(1)- بسايح، مرجع سابق، ص215-216.

(2)- بن عوف، مرجع سابق، ص148.

(3)- فرقة إسلامية في سوريا ولبنان، تؤمن بإمامة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أسسها حمزة بن علي في ق11م اشتهروا بالنخوة والشجاعة والعفة والرصانة، ينتسبون إلى الداعية الفاطمي محمد ابن إسماعيل الدرزي المتوفى 1019م من الطوائف الباطنية التي انشقت عن الإسماعيلية، واتخذت لها مبادئ مخالفة قي ظاهرها لمبادئ الإسماعيلية وان كانت لا تخالفها في جوهرها تقيم في مناطق مختلفة في بلاد الشام منهم من يقيمون في بلاد الشوف بلبنان وقسم يقيم في جبل الدروز في جنوب سوريا وفي هضبة الجولان المطلة على فلسطين وهناك منيقيم في شمال فلسطين. للمزيد راجع: عبد الرحمن بدوي، الدروز"فصل من كتاب مذهب الإسلاميين "، م2، ط1، بيروت 1973م ص508 وما بعدها.

(4)- محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، تر: محمد يحياتن، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 2008م، ص56.

الجيوش لأوروبا تخوف مسيحي دمشق من عواقب تعليقاتهم وسلوكهم في الحرب[1].

4- عبث النصارى بالشريعة التي أحدثتها الدولة على إثر حرب القرم، مكرهة من دولة الروس على وضعها، ومفاد الشريعة مساواة الرعايا بالحقوق المدنية وإعفاء النصارى من الخدمة العسكرية، وهذه الشريعة على ما فيها من الغبن بحقوق المسلمين كانت الباعث على إنشاء الضغائن والأحقاد لما فيها من الممايزة، فهذا التمييز حمل النصارى للمظاهرة ونفخ صدورهم والتباهي[2].

بعد مرور أربع سنوات من صلح باريس[3]، وجدت الدول الأوروبية فرصة جديدة للتدخل في شؤون الإمبراطورية العثمانية الداخلية، ذلك بأن نظام الحكم الثنائي الذي أنشئ في لبنان ساعد على قيام حالة من الخلاف المتواصل بين الدروز والموارنة خاصة وأن الأتراك المتعصبين الذين وجدوا أنفسهم هناك في غفلة عن رقابة الدبلوماسيين الأوروبيين الدائمة، كانوا ينفسون عن بغضهم للنصارى عن طريق إثارة الدروز عليهم[4]، وقد وضعت معاهدة باريس الترك أمام أمرين الأول هو أن المعاهدة أنقذتهم وجددت لهم الأمل في البقاء السياسي والثاني أن عمل الخلاص لا يكتمل إلا بمرسوم

---

(1)- بسايح، مرجع سابق، ص216.

(2)- سهيل زكار، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر"روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام 1860م ومقدماتها في سوريا ولبنان، دط، التكوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق2006م، ص248.

(3)- وقع في 29 مارس 1856م وقعت عليه الدول العظمى والدولة العثمانية تضمن نقاط منها: احترام أملاك الدولة العثمانية واستقلالها، قبول مبدأ التحكيم في حالة وقوع خلاف، تتعهد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعياها المسيحيين على أن لا تتدخل أي دولة في شؤونها الداخلية، تغلق الدولة العثمانية البوسفور والدردنيل في وجه آية سفن حربية غير عثمانية حياد البحر الأسود بحيث لا يسمح بظهور سفن حربية فيه أو إقامة منشات حربية، حرية الملاحة في نهر الدانوب تسترجع ولاشيا وملدافيا وضعهما(الاستقلال الذاتي) تحت سيادة السلطان بشرط بقائهما تحت الضمانة التركية للدول الكبرى التي وعدت بعدم التدخل في شؤونها في المستقبل، تخلي روسيا عن مصب نهر الدانوب حتى ملدافيا لتعود لسيادة العثمانية ،إعادة سباستبول إلى روسيا وقارص للدولة العثمانية... للمزيد انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشروق القاهرة 1982م، ص212-213.

(4)- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1968م، ص573.

الموت، حيث أن الدول المسيحية انتزعت من الترك قانون (الخط الهمايوني)[1] ما جعل الترك تحت رحمتهم، ولطالما نظر الترك إلى مسيحي سورية كمصدر القلق الدائم ومشاعر الحقد والثأر، فهم كانوا يرونهم مصدر مفتاح الفرنجة، لأنهم مستعدين دائما للترحيب بمساعدة أوروبا الغازية خاصة مع ازدياد عددهم وقوتهم وثروتهم، أما المسيحيين فقد خدعوا أنفسهم بظنهم أن خط همايون[2]، سيصبح حقيقة وفكروا في مستقبل المساواة المدنية والعسكرية والسياسية مع المسلمين، وهي الحقوق التي نص عليها هذا القانون حيث تقدموا برغبتهم للدخول في الجيش [3]، لكن اخبروا أن خدمتهم غير مرغوب فيها، ووصلتهم أخبار أنهم سيكونون موضوع ضريبة سنوية تقدر بعشر

(1)- هو خط التنظيمات الخيرية صدر في أول جمادى 1272هـ الموافق لـ 18 فبراير 1856م، في عهد السلطان عبد المجيد، أعلن عنه بعد انتصار العثمانيين وحلفائهم (انجلترا، فرنسا، ايطاليا) على روسيا في حرب القرم 1856م قبل أسبوع من عقد مؤتمر باريس، كان أكثر عصرية واقتباس عن الغرب جاء فيه: التأكيد على تطبيق الخدمة العسكرية على المسلمين وغير المسلمين، نص على معاملة جميع رعايا الدولة معاملة متساوية مهما كانت ديانتهم ومذاهبهم، المحافظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملل غير الإسلامية، ألا تبقى المسائل المدنية الخاصة برعايا الدولة المسيحية من اختصاص رجال الدين وحدهم بل مجلس مختلط، يقوم الشعب بانتخابه بنفسه وفتحت أبواب معاهد التعليم الرسمية وبالتالي وظائف الدولة المدنية أمام المسيحيين الذين فرضت عليهم الخدمة العسكرية.للمزيد راجع: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص210-211. و راجع: عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م، رسالة قدمت لقسم التاريخ بكلية الآداب للحصول على درجة الماجستير في الآداب، جامعة عين الشمس، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 25-27.

(2)- أعلنت معظم الدول مساندتها التامة له دون التدخل لضمان تنفيذ العثمانيين لوعودهم، وهو ما حرر رجال التنظيمات من خوف التدخل الأجنبي وفي المقابل انتقدت بعض الأطراف الخط مثل شيخ الإسلام كما انتقده رشيد باشا الذي اقر بأنه سار أشواطا بعيدة إلى الأمام لأنه جاء كقفزة بدلا من الإصلاح، وردد انتقاده عثمانيون آخرون مما أدى لنشوب اضطرابات في مرعش وبعض المراكز السورية، فكان مسيحي الدولة يتطلعون إلى مزيد من التدخل الأوروبي لتنفيذ الإصلاحات بدلا من تطلعهم للسلطات، كما أن المساواة الدينية التي وردت في الخط لم ترض كل الناس.للمزيد راجع: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، مرجع سابق، ص213 وما بعدها.

(3)- كانت كل قطاعات المجتمع تعارض تجنيد المسيحيين، ففي حين ذهب المسلمون إلى أن حياتهم ستتعرض للخطر فيما لو تم تسليح المسيحيين فقد أبدى المسيحيون رغبتهم في عدم القتال تحت راية الرسول أو ضد مسيحيين آخرين فكيف يمكن لهم مقاتلة إخوانهم في الدين، فقد رأى المسلمين أنه لا يمكن السماح لهم بالانضمام إلى الجيش.

شلنات لكل شخص بدل الخدمة العسكرية، وقد احتج المسيحيين ورفضوا دفع الضريبة[1].

من الأسباب التي أدت لظهور هذه الفتنة، يرجعها الدكتور سعد الله إلى التدخلات الأجنبية التي كانت تلعب بمصائر الشعوب من أجل مصالحها الخاصة[2] إضافة إلى الصراعات على النفوذ والنزاعات الطائفية المستشرية، والأبعاد الخارجية التي فعلت فعلها السلبي في إذكاء النزاعات ووصولها إلى حد المجازر والمذابح والتهجير فالسلطنة العثمانية بولاتها والدول الأجنبية بقناصلها أدت دوراً كبيراً في الحض على النزاع عبر وعدها بالمساندة والدعم، فاستجاب لها أصحاب الطوائف والمذاهب[3].

استغلت الدول الأوروبية وحتى الدولة العثمانية الصراعات القائمة منذ زمن بعيد بين المسلمين والمسيحيين، خاصة وأن بلاد الشام تتكون من عدة طوائف ومذاهب سهلت عليها إشعال فتيل الحرب بينهم، بدافع تحقيق أهداف خفية كانت تسعى من أجلها.

---

(1)- تشرشل، مصدر سابق، ص280.

(2)- بوطارن، مرجع سابق، ص 97.

(3)- جورج مسوح،" **ذاكرات قاتلة"1860 تاريخ وذاكرة نزاع**"، النهار، ع78، مؤتمر عقد لثلاثة أيام في بيروت، 13تشرين الأول، بيروت2011م، ص55.

المطلب الثاني: مساهمة الأمير عبد القادر في أحداث دمشق.

كان الأمير عبد القادر يقظاً للمؤامرات التي كانت بريطانيا وفرنسا تحيكها، لإثارة الفتن بين المواطنين بتدخلهم بنصرة فئة على أخرى طمعاً في احتلال البلاد[1]، وبدأت الأحداث في ماي 1860م، بحرب أهلية حقيقة بين الدروز والمسيحيين في لبنان وكتب عبد القادر عدة رسائل إلى علماء حمص وحماه وشيوخ الدروز في جبل لبنان وسهول حوران، أين كان الوضع قد تفاقم بسبب ما قام به الصبيان من رسم الصليب على الطرقات والشوارع، ثم توجه إلى عصمت باشا والي دمشق وتكلم معه في ذلك فأجابه: "**إن ما بلغك يخص أرجاف النصارى**"[2]، رغم هذا فإن الوالي لم يحرك ساكنا لأنه يجهل ما كان يجري في الأحياء بين الجماعات من أحاديث تنم عن العداء للنصارى الذين اضطهدوا إخوانهم الدروز في لبنان[3]، وقد أشارت بعض الكتابات أن المسؤولين في دمشق والجبل كانوا على علم بما يحدث من تهديدات وتطاولات في حق المسيحيين.

يذكر هنري تشرشل أن السلطات التركية في الإقليم بعثت إلى والي الأمر في اسطنبول تخبره عن السلوك التمردي للمسيحيين وجاءت التعليمات صريحة بوجوب "زجر" المسيحيين ورغم التعبير البسيط فإن من وجه إليهم الكلام فهم بمعنى أخر[4].

رغم تحذير الأمير انطلقت شرارة الفتنة بدمشق يوم 12 ذي الحجة 1276هـ /10 جويلية 1860م، وقد أشعل فتيلها طفل صغير، وامتد لهيبها لتصبح مذبحة كبرى[5]، فمع أن الأمير خاطب العلماء والوجهاء والأعيان من أهالي الشام: "**إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي، أجل وأقدس من أن يكون خنجر جهالة أو معول طيش، أو صرخات**

---

(1)- بوزيد ، مرجع سابق، ص282.

(2)- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص 93.

(3)- يحي بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، طخ، الجزائر2009م ص53.

(4)- تشرشل، مصدر سابق، ص281.

(5)- أباظة، مرجع سابق، ص17.

نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم...أحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيبا أو يكون له على نفوسكم سبيلا"[1]، رغم ذلك فالملاحظ أن الجهات العليا لم تحرك ساكناً.

في تقرير كتبه لانوس (LANUSSE) القائم بأعمال القنصلية الفرنسية بدمشق في 19 جوان 1860م يذكر: "**فنوايا (أحمد باشا) معروفة من قبل بعض كبار أعيان البلاد الذين كشفوا عن مخططاته وأنا استمد هذه المعلومات من الأمير عبد القادر...عندما علم الأمير بالخطر المحدق بالأوروبيين والمسيحيين جاء من تلقاء ذاته ليضع نفسه تحت تصرفي**"[2]، ولكي يحول الأمير دون تحقيق نوايا الفرنسيين والانجليز كان عليه التدخل والدفاع عن القنصليات والدبلوماسيين المسيحيين، وحماية السفارات الأجنبية وحراستها كما جعل من بيته الكبير في حي العمارة ملاذاً للقناصل وأسرهم، وفتح قلعة دمشق لإسعاف اللاجئين من الأهالي[3]، استمرت الفتنة قائمة ونارها مشتعلة أربعة عشر يوما كل ذلك والأمير مشتغل بأخذ الوسائل ليتوصل إلى إخمادها باذلاً جهده ومساعيه، ومع انتهاء المحنة استطاع الأمير ومعاونوه أن ينقذوا خمسة عشر ألف مسيحي من القناصل وأعيان النصارى والرهبان والراهبات[4].

لم يزل الأمير يعاني المشقة إلى أن حضر صاحب الدولة فؤاد باشا[5] وزير الخارجية إلى دمشق، ولأول وصوله أجرى فيها الأحكام العرفية، فقبض على زمام الأمور وسجن الآلاف من الناس، وعين مجالس خاصة للمحاكمات فقتل من ثبت عليه القتل أو إثارة

---

(1)- فؤاد صالح السيد، "**الأمير عبد القادر في دمشق جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية(1272-1300هـ /1856-1883م)**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، ع75، الجزائر1983م، ص300.

(2)- آتيين، مرجع سابق، ص314.

(3)- بوزيد ، مرجع سابق، ص 284.

(4)- بن السبع، مرجع سابق، ص58.

(5)- هو أحد القائمين على نهج التنظيمات، كان يشغل منصب ناظر الخارجية، تم إرساله إلى دمشق لإخماد الفتنة المشتعلة فيها سنة 1860م، وقام باتخاذ إجراءات صارمة في حق المتورطين في الفتنة.

الفتنة، ونفى جماعة من الأعيان، كما عقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر الوالي أحمد باشا وجماعة من رؤساء الجند وأمر برد المسلوبات إلى أهلها وأقر الأمن[1].

لقد كان للعمل والجهد الذي قام به الأمير دوافع مختلفة حسب الكتابات التي تناولت الموضوع، فهناك من أخذها من جانب إنساني وأخلاقي معروف عن الأمير وهناك من عللها بأنها تتعلق بجانب سياسي.

حسب الكاتب فؤاد صالح السيد لم تكن دوافع الأمير ما قدمه ابنه محمد الذي قال:"**إن الباعث له على حمل تلك المشاق، تأييد الدولة العثمانية والدفاع عن حوزتها إذ لو لم يقف في وجه الغوغاء لاستأصلوا النصارى، وتفاقم الأمر أكثر مما وقع، وبذلك يحصل للدولة العثمانية من الارتباك ما لا يخفى**"[2]، ولم يكن الدافع أيضا ما ادعاه المؤرخون الغربيون من أن عمله هذا كان نتيجة اتصاله بالجمعية الماسونية، وهو رأي بعيد عن الحقيقة وأما الدافع الحقيقي لهذا العمل الشريف فإنه يكمن في الرسالة التي بعث بها إلى ملكة بريطانية، رداً على الهدية التي أرسلتها إليه، فقد قال في رسالته المكتوبة باللغة العربية والمؤرخة بتاريخ 20محرم 1278هـ: "**إنني لم أفعل إلا ما توجبه علي فرائض الإيمان ولوازم الإنسانية**"[3].

حسب ما تم الحديث عنه، فإن الموقف الذي واجهه الأمير، ورغم ما تعرض له من انتقادات وطعن في مصداقية عمله وإنسانيته، فإن ما قام به عمل شريف وبطولي لا يقوم به إلا من يعرف قيمة العمل الإنساني ويقدر قيمة الحرية.

أما الدول الأوروبية التي كانت تترقب وتنتظر الفرصة المناسبة لتنفيذ مخططاتها، فقد رأت في هذه الأحداث العذر الأنسب للتدخل في الشؤون الداخلية لسوريا، وبعد أن وصلت

---

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص94.

(2)- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق.....، مرجع سابق، ص301.

(3)- اباضة، مرجع سابق، ص18.

الأنباء إلى باريس في 16 جويلية وجدت فرنسا دليلاً جديداً لا جدال فيه على حاجة مسيحي دمشق للحماية الأوروبية، وكانت المفاوضات التي تداولت فيها القوى الأوروبية مشاريع التدخل في سورية قد اختتمت أعمالها، وتم الاتفاق في 25 جويلية على إرسال حملة عسكرية إلى سوريا[1]، فتطوعت فرنسا لذلك لداعي قربها المذهبي من المسيحيين في لبنان ولكونها المشرفة على الكنائس في بيت المقدس، راحت بعد أسبوع ترسوا بأسطولها الحربي في ميناء بيروت[2] في النصف الثاني من شهر أوت، في وقت كان النزاع في سوريا انتهى وكان فؤاد باشا قد اتخذ إجراءات صارمة[3] في حق المعتدين[4].

أرسلت هذه الحملة حسب الدول الأوروبية بدوافع إنسانية ورغم تعارض المصالح الفرنسية البريطانية ظهرت وكأنها حملة فرنسية – أوروبية، وقد عهد بقيادتها إلى الجنرال بوفورد هوبول (BEAVUORT D HAUPUL)[5].

رغم أن الدول الأوروبية كانت تسعى جاهدة لوضع قدمها في سوريا، مستغلة الموقف العدائي الذي حدث إلا أن تدخل الأمير وقدرته على التصدي لهذه المؤامرة حرمها من

---

(1)- ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر: عمر الملاح، دينا الملاح، ط1، دار الجمهورية بيتموني وشركاه، دمشق 1998م، ص112.

(2)- بن عوف، مرجع سابق، ص150.

(3)- قام فؤاد باشا بعقد اجتماع مغلق دعا إليه أعيان المدينة، وطلب من المسيحيين الناجين إعداد قائمة بأسماء الأشخاص الذين تورطوا في أعمال الشغب، وقام أعضاء مجلس الولاية وبعض الأعيان المسلمين بعقد اجتماع في السرايا لدراسة هذه القائمة، واتفقوا على اعتقال 350 شخص بتهمة الضلوع في أعمال الشغب وتشكيل لجنة خاصة عهد لها استعادة المسروقات من أحياء عديدة في المدينة، وضلت أبواب المدينة مغلقة أثناء تنفيذ هذه الإجراءات، وتم تنفيذ عقوبة الإعدام رميا بالرصاص أو شنقا بحق 170 شخصا من بين المعتقلين، كما ظهرت قائمة في باريس 1861م، وجد فيها أن عدد الذين صدرت بحقهم أحكام تهمة الضلوع في أعمال الشغب بلغ 338 شخص أدينوا بالتحريض أو القتل أو القرصنة أو النهب، وحرص فؤاد باشا على تنفيذ حكم الإعدام بالعديد من الضالعين في أعمال الشغب، وادخل العديد من أصحاب الشأن للجيش العثماني، كما فرض غرامات مالية على سكان المدينة غير المسلمين.للمزيد من الإطلاع راجع: ليندا شيلشر دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مرجع سابق، ص112 وما بعدها.

(4)- شيلشر، مرجع سابق، ص112.

(5)- آتيين، مرجع سابق، ص311.

تحقيق أهدافها التي سعت من أجلها، وبذلك حقق الأمير ما لم تستطع تحقيقه حتى الدولة العثمانية وهو حماية المنطقة من السيطرة الأجنبية في تلك الفترة.

المطلب الثالث: ردود الفعل حول تدخل الأمير عبد القادر في الفتنة.

إن العمل العظيم الذي قام به الأمير أثناء الفتنة أثار إعجاب العالم ككل من مسيحيين ومسلمين، ومن الأعداء والأصدقاء على السواء، فبعد هذه الأحداث تسابق ملوك وحكام العالم في إرسال الهدايا والعطايا والأوسمة للأمير[1]، فأرسل الخليفة العثماني عبد المجيد خان النيشان المجيدي الهمايوني العالي الشأن من الرتبة الأولى، وأرفق معه فرمان شكر وعرفان ومكافأة مادية، ثم توالت رسائل الشكر وقصائد التهنئة من الأدباء والشعراء والعلماء والأعيان المسلمين وغير المسلمين[2]، ومن بين أهم الرسائل التي تلقاها رسالة المجاهد والأسير قائد الثورة في داغستان والشيشان الشيخ محمد شامل[3]، الذي عبر له فيها عن إنسانية العمل الذي قام به أثناء الحادثة[4]. مما جاء في الرسالة: "**إلى الذي أطفا نار الفتنة قبل أن تمتد ألسنتها، والذي اجتث شجرة العداوة التي لم تكن ثمرتها في الواقع سوى رأس الشيطان... ولكني عندما سمعت أنك حميت أهل الذمة بجناح العافية**

---

(1)- الشريف سحلي، مرجع سابق، ص123.

(2)- بن عوف، مرجع سابق، ص151.

(3)- ولد محمد شميل (أو شامل) سنة 1799م بداغستان في المنطقة الشرقية من القفقاز، احتلتها روسيا القيصرية ،ساهم شميل في المقاومة ضد الجيش الروسي ،وقد أبلى بلاءا حسنا في المعارك ضد العدو لاسيما بين 1843-1844م غير أن تفوق الجيش الروسي لم يسمح له بمواصلة الجهاد، فقرر وقف الحرب ونقل إلى المنفى بمدينة (كالوغا) قريبا من موسكو في 6 سبتمبر 1859م بعد 25 سنة من المقاومة ثم أطلق سراحه في 1869م وتوفي بالمدينة المنورة يوم 14 فبراير 1871م. بعث الإمام شميل رسالة إلى الأمير عبد القادر في جويلية 1860بعد حوادث دمشق، وأجاب الأمير الإمام برسالة في 1865م، ومساعدة لصديقه الإمام شميل توسط الأمير عبد القادر لدى الإمبراطور نابليون الثالث أثناء زيارته لمدينة باريس راجيا منه أن يتصل بإمبراطور روسيا ليطلق سراح شميل، ويبدوا أن نابليون قد استجاب لذلك، كما تحدث الأمير في نفس الموضوع مع السفير الروسي لدى الدولة العثمانية، للمزيد راجع: أبو عمران الشيخ،" **مراسلة الأمير عبد القادر مع الإمام شميل من القوقاز**"، مجلة الثقافة وزارة الثقافة، ع75، الجزائر1983م ص 189-190.

(4) -chikh Bouamrane ،l'émir Abd el Kader(résistant et humaniste، édition ANEP ،Rouïba 2010، p 104.

والرحمة،...أثنيت عليك لأن الله تعالى سيثني عليك يوم لا يغني مال ولا ولد"[1]. أيضا من الشخصيات التي عبرت للأمير عن إعجابها، نجد أسقف مدينة الجزائر في ذلك العهد مونسانيور بافي(1866-1846م) ومما جاء فيها: "**إن الراهب سوشي الذي كان له الشرف العظيم في رؤيتكم بسهل غريس قرب كاشرو، ثم فيما بعد بقلعة امبواز، فإنه يأتي ليعبر لكم شخصيا عن إعجابه الكبير وعرفانه الحار عن سلوككم البطولي الذي لا يقارن في المذابح الرهيبة لمسيحي لبنان**"[2].

أما النياشين و التشريفات والهدايا الأجنبية فكانت كثيرة ومنها:

- هدية من الملكة فيكتوريا (victoria) ملكة بريطانيا الكبرى وكانت بندقية مكتوب على ظهر صندوقها عبارة: "**من حضرة جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر تذكارا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق1860**"، وكانت الهدية مرفقة برسالة حررها قنصل دولة انجلترا في دمشق المكلف من الحكومة الانكليزية مؤرخة في 24 أوت 1860م[3].
- أما فرنسا فقد أرسلت نيشان وسام الشرف (légion d honneur) من الرتبة الأولى من إمبراطور فرنسا نابليون الثالث، مرفق برسالة من وزير الخارجية مؤرخة في 24 أوت 1860م مما جاء فيها: "**أيها الأمير السامي إن خبر الحوادث الشامية قد طرق مسامع الدولة الفرنساوية وإجابة لطاعة مولاي الإمبراطور، وبإرادته بادرت الآن بإعلان اعتباره السامي وتشكره الوافر**"ويضيف الوزير في حديثه مؤكداً على المعرفة القديمة بين الأمير والإمبراطور فيقول: "**أما الإمبراطور نظراً لمعرفته بعلي همتكم وكرم أخلاقكم فإنه لم يتعجب مما أظهرتموه من الإقدام في ذلك الوقت الضنك**"[4].

---

(1)- بويجرة، مرجع سابق، ص186.

(2)- بوزيد، مرجع سابق، ص153.

(3)- بن عوف، مرجع سابق، ص151.

(4)- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص98.

- في 12 أكتوبر 1861م/1261هـ، إمبراطور وملك روسيا الكسندر الثاني يمنح الأمير نيشان صليب النسر الأبيض من الطبقة الأولى[1]، وجاء في البرقية المرفقة: " **اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم فرسان الإمبراطورية المشهورة بالنسر الأبيض**"[2].
- النيشان الكبير رتبة أولى، نيشان المخلص من ملك اليونان اوتون الأول (Othon) استلمه الأمير في شهر سبتمبر1860م[3]: "**أعطينا للأمير عبد القادر النيشان الكبير رتبة أولى من صنف نيشاننا المملوكي المدعو بنيشان المخلص**"[4].
- نيشان موريس والعاذر من قاريبالدي (Garibaldi) ملك ايطاليا الجديدة وهو أقدم نياشين الخيولية والفروسية، استلمه الأمير في شهر سبتمبر 1860م[5]، وقد جاء في الرسالة: "**أنا مرسل إليك الآن الشريطة الكبرى نيشان موريس والعاذر وهو أقدم نياشين الخيولية والفروسية**"[6].
- منحه ملك بروسيا (guillaume) غيوم الأول صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى[7]، استلمه الأمير في 12 نوفمبر 1860م[8]: "**منحنا للأمير عبد القادر بن محي الدين نيشان صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى**"[9].

أما ملكة انجلترا في1860م، بعثت بندقية مرصعة بالذهب كهدية شكر وعرفان

---

(1)- حمو، مرجع سابق، ص29.

(2)- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص99.

(3)- بن عوف، مرجع سابق، ص152.

(4)- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ص100.

(5)- بن عوف، مرجع سابق، ص152.

(6)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر..،ج2، مصدر سابق، ص99.

(7)- سعيدوني، مرجع سابق، ص176.

(8)- بن عوف، مرجع سابق، ص152.

(9)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص99.

بانجاز الأمير عبد القادر[1]، وأرسل له البابا وسام بيوس التاسع وأمريكا أرسلت مسدسين مرصعين بالذهب[2]، أما الشعراء فقد مدحوه بقصائد عديدة نظيراً لموقفه الشريف[3]، منهم الشاعر أمين الجندي، سليمان الصولة، الشاعر إبراهيم الأحدب نائب المحكمة الشرعية ببيروت[4].

أما الملوك والأمراء والقادة الدينيين فقد وجهوا تحياتهم إلى العمل الإنساني الذي قام به الأمير، فكتب السيد بيجر(BEGER) القنصل العام لروسيا في بيروت، في تقرير إلى سفير روسيا في القسطنطينية السيد لوبانوف روستوفسكي، في جوان 1860م: "**هوجم منزل نائب قنصل روسيا ونهب، أنقذ السيد ماكييف على عجل وهو حاليا عند عبد القادر، كما لجأ إلى الأمير أيضا السيد لانوس، مسير قنصلية فرنسا، ونائب قنصل اليونان**"[5]، وهو ما يدل على العمل الكبير الذي قام به الأمير وأتباعه الجزائريين حيث أنهم تمكنوا من مساعدة مجمل قناصل الدول الأوروبية المسيحية، أما أهالي دمشق المسيحيين فكتبوا يوم 1860/07/11م، إلى بطريرك أنطاكية: "**عند حلول الليل، وجدنا أنفسنا مجتمعين في دار الشهير عبد القادر الجزائري، الذي لا يمكن أن يكون حضوره في هذه الأماكن وفي ظرف كهذا، إلا لحكمة الاهية**"[6].

كانت مراسلات الممثلين الدبلوماسيين إلى أمراء وقياصرة الدول الأوروبية كلها تتحدث عن الموقف المشرف للأمير اتجاه مسيحي دمشق.

---

(1)- حمو، مرجع سابق، ص30.

(2)- بسايح، مرجع سابق، ص226.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص301.

(4)- نفسه، ص301. للإطلاع أكثر راجع كتاب الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد لنزار اباضة وتحفة الزائر.

(5)- بسايح، مرجع سابق، ص287.

(6)- نفسه، ص287.

نوهت كبريات الصحف العالمية وأشادت بخصال الأمير الكريمة ومواقفه الإنسانية ومما جاء في إحدى الصحف مقولة أوردها محمد بن عبد القادر في مؤلفه حيث ذكرت هذه الصحيفة: "**يوجد في ذات عبد القادر شخصان أحدهما أمير الجزائر والعدو المخيف للفرنسيين...والثاني الأمير الموجود الآن في سورية المخلص لألوف من النفوس في حادثة دمشق المهولة سنة ستين فالأمير هو الرجل الوحيد الذي ظهر في مكانين بعيدين بصورتين مختلفتين وأمسى الفرنسويون مدينون له بدين هم مجبرون على أدائه له**"[1].

إن العمل الذي قام به الأمير من إنقاذه للمسيحيين، يعد من أعظم الأعمال التي خلدت تاريخ وانجازات الأمير، فكل الأمراء والوزراء والشخصيات المهمة في العالم شكروا له صنيعه هذا، والذي اعتبره الأمير واجباً دينياً وإنسانياً.

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، مصدر سابق، ج2، ص113-114.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر والماسونية 1860م-1865م.

المطلب الأول : رحلات الأمير عبد القادر بعد فتنة دمشق.

بعد أن هدأت الأحوال وعاد الأمن والاستقرار إلى الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم بعد حوادث دمشق، قرر الأمير أن يزور حماه وحمص[1]، فلطالما اشرأبت نفس الأمير إلى تحقيق رغبته في إكمال واجباته الدينية ويتوجها بعمل آخر من أعمال العبادة[2]، ولم يتمكن من ذلك إلا بعد وفاة والدته[3] المسنة التي كان باراً بها ويقوم على شؤونها[4]، بعد وفاتها غادر دمشق في السنة التالية متوجها إلى الديار المقدسة عن طريق مصر، فركب إلى الإسكندرية ومنها إلى قاهرة المعز التي أقام بها فترة واغتنم الفرصة لزيارة بعض معالمها وعلماؤها، وكان محل ترحيب وإكرام من قناصل الدول ووجهاء الشعب المصري وأعيانه ومنها إلى السويس حيث أبحر إلى جدة[5].

بعد وصول الأمير إلى مكة بأيام أخذ الطريقة الشاذلية[6] عن الشيخ محمد الفاسي واختلى مدة في غار حراء، ثم توجه إلى الطائف الشريف فمكث هناك نحو ثلاثة أشهر وهو

---

(1)- بن السبع، مرجع سابق، ص60.

(2)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق.....، مرجع سابق، ص302.

(3)- هي السيدة الزهراء نبيلة النسب من عائلة أولاد سيدي عمر بن دوحة،سبق لها الزواج قبل محي الدين حيث أنجبت ولدا ومات ، وأنجبت من محي الدين "عبد القادر، وخديجة"

(4)- بركات، مرجع سابق، ص25.

(5)- اباضة، مرجع سابق، ص22.

(6)- هي إحدى الطرق الصوفية الإسلامية مؤسسها أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي نسبة لقرية شاذلة القريبة من تونس، ولد عام 593هـ/1197م بقرية عمان ثم انتقل إلى تونس، أنشأ طريقته الصوفية في المغرب وفي مصر رحل إلى المشرق ، مات سنة 656هـ/1258م، بنى طريقته على طلب العلم وكثرة الذكر وتعتمد على الكتاب والسنة وترك المعاصي وفعل الواجبات وإتباع السنن المأثورة ولذا قيل عنه أنه "مسهل الطريقة على الخليقة"لأن طريقته أسهل الطرق وأقربها ولا تزال الطريقة إلى اليوم قوية الوجود في مراكش وتونس بنوع خاص. للمزيد راجع: مجلة الثقافة، ع75، مرجع سابق ص302.

على اشتغاله واجتهاده في الطريق[1]، ونظم هناك قصيدته الرائية المشهورة يمدح فيها شيخه المذكور ويصف فيها بداية رحلته الصوفية ونهايتها وهي"أمسعود"[2].

انتقل الأمير إلى المدينة المنورة، مكث من 6 جانفي 1864م إلى 4 أفريل 1864م وسكن المحل الذي كان بيت سيدنا أبى بكر رضي الله عنه، وبابه من المسجد، اختلى فيه شهرين، وكان يكثر من زيارة جبل أحد وقبور الشهداء والصلاة في مسجد قباء[3]، ولم يزل في المدينة الشريفة إلى أن حضر ركب الشام فتوجه معه إلى مكة والبلد الحرام، وبعد إتمام حجه توجه إلى جدة ، ثم ركب الباخرة المصرية ولم يزل يستقبله الولاة والكبراء والعلماء والوزراء إلى أن دخل دمشق الشام، واستقبله الخاص والعام[4].

لقي الأمير عبد القادر أثناء زياراته كل الترحيب والاحترام من العلماء والوجهاء والكبراء في المجتمعات الإسلامية وحتى الأوروبية، وكان وقع وجوده في كل مكان يحل به كبيراً فكان يجتمع حوله الناس ليلتقوا بهذا الشخص الذي لطالما سمعوا عن جهاده وعلمه ومكانته العظيمة.

عزم الأمير في 27 ذي القعدة 1282هـ/ 10 أفريل 1865م على القيام برحلة أخرى فزار بيروت فالأستانة حيث أجرى محادثات عدة مع المسؤولين في الأستانة[5]، وأقام هناك شهرين وزار السلطان عبد العزيز[6]، وتوسط لديه في العفو عن المساجين والمنفيين الذين

---

(1)- البيطار،حلية البشر...،ج2، مصدر سابق، ص898.

(2)- اباضة، مرجع سابق، ص22.

(3)- نفسه، ص23.

(4)- البيطار، حلية البشر...، ج2، مصدر سابق، ص900.

(5)- يحي بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر، مرجع سابق ، ص55.

(6)- ولد سنة 1245هـ الموافق 1830م، استلم السلطة بعد وفاة أخيه 1861م وكان عمره 31 سنة، وقالو نظرا لعزله اختلت قواه العقلية وانتحر، ولكن الذين خلعوه هم الذين قتلوه، والصحيح أكثر انه خلع وقتل عمره 46 سنة.للمزيد راجع: ماري ملزباتريك، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي"سلاطين بني عثمان"، ط1، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت 1968م، ص 15-19.

أدينوا في فتنة الستين فلبى السلطان رجاءه وأصدر إرادته بإطلاق سراح هؤلاء وإعادتهم لبلادهم[1]، وبعد أن مكث الأمير مدة في الأستانة بارحها إلى فرنسا فزار مرسيليا وليون وباريس واستقبل استقبالا عظيما[2]، واهتز القطر لقدومه وتحرك لاستقباله ركن العاصمة ونال كل القدر والاحترام، كما قابل الإمبراطور نابليون وجلس معه وتحادثا[3]، ثم بعد أيام رحل إلى انجلترا واستقبله وزير الخارجية، وجماعة من الأعيان نيابة من الملكة[4] بعدها رجع رجع إلى باريس وزار قصر فرساي، وشاهد صور حروبه مع فرنسا[5]، ثم رجع إلى باريس، باريس، وودع الإمبراطور ورجال الدولة وتوجه إلى وطنه دمشق الشام وكان قد زيد له في معاشه، ولازال في طريق رجوعه إلى الشام إلى أن وصلها، ولما أقبل على الشام خرج أكابرها وعلمائها لاستقباله والسلام عليه[6].

---

(1)- اباضة، مرجع سابق، ص27.

(2)- بن السبع، مرجع سابق، ص62.

(3)- البيطار، حلية البشر...،ج2، مصدر سابق، ص903.

(4)- بن السبع، مرجع سابق، ص62.

(5)- اباضة، مرجع سابق، ص27.

(6)- البيطار، حلية البشر...، ج2، مصدر سابق، ص903.

المطلب الثاني: الأمير عبد القادر و الماسونية.

كتب الكثير من المؤرخين، منهم العرب والمشارقة وحتى الغربيين حول قضية انتساب الأمير إلى الماسونية[1]، وأكثرهم من العرب، الذين اتهموه بالدخول في سلكها وقدموا براهين عدة حتى يثبتوا صحة أقوالهم، بينما نفى آخرون هذه الادعاءات وأكدوا بأنها مجرد أقاويل ليس لها أساس من الصحة، وقاموا بإعطاء أدلة وبراهين لإثبات ما نفوه عن الأمير فأين الحقيقة من كل هذا؟.

كانت بداية الحديث عن الأمير عبد القادر و الماسونية منذ أحداث دمشق 1860م فقد وصلت الأمير في تلك المناسبة العديد من رسائل التهنئة والتقدير والأوسمة الرفيعة، ومن بين ما وصله رسالة تقدير من الجمعية "الفرماسونية" بفرنسا جاء فيها:" **أعلم أيها الأمير أن العالم قد كلل هامتكم الشريفة المقدسة بإكليل الشرف، ونحن نقدم إليكم تقديرنا لما أظهرتموه من كمال الإنسانية**"[2]، وتواصل الجمعية إظهار مكانة الأمير وإنسانيته اتجاه المسيحيين وتضيف:" **نعم أنت الممثل الوحيد للأمة العربية القوية التي تدين أوروبا لها بقسم كبير من تمدنها وعلومها، فلك المجد والفخر والشكر**"[3]. ونجد في هذه الرسالة اعتراف يصدر للمرة الأولى من طرف أوروبيين تحدثوا فيها عن فضل العرب ومكانتهم ومساهمتهم في نشر الحضارة بأوروبا وهو أمر لا يمكن أن يعترف به الأوروبيين بسهولة رغم أننا لا نعلم حقيقة نواياهم من هذه الرسالة وما تخفيه من حقائق مبهمة.

---

(1)- وهو (Masonry free) ويعرفه الجميع الآن "الماسونية "، وهذا الاسم حسب الوضع اللغوي يتكون من ثلاث كلمات الأولى (free) وتعني الحر أو المطلق الذي لا يضبطه قيد والثانية (mason) وتعني الحرفة، وتعني أيضا حرفة البناء والأخيرة (ry) ياء النسبة، والترجمة الحرفية للاسم هي جمعية البناءين الأحرار الذين لا تربطهم رابطة أو تلزمهم نقابة ماعدا رابطة الأخوة هي التي تربطهم وتجمعهم لذلك فإن كل واحد منهم يسمي قرينه في الجمعية أخا.راجع: محمد صفوت السقا أميني، سعدى أبو جيب الماسونية، ط2، منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة 1982م، ص 11- 19.

(2)- بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق و وثائق ....، مرجع سابق، ص267.

(3)- نفسه، ص267.

يذكر برونو آتيين في كتابه الضخم "عبد القادر الجزائري": "أن الأمير مثل الكثيرين ممن عايشوا عصره ومقاومته في الجزائر...كان حساسا للدعوة الماسونية، وأن محفل الشرق الكبير في فرنسا أجاب على رسالة يطلب فيها شرح أسس و أهداف الجمعية"[1]، إضافة إلى أنه منذ تلقيه الرسالة من محفل الشرق الكبير في فرنسا عمد إلى الاستماع إلى شروح عن أهداف هذه الجمعية ونشاطاتها ومداخلها ومخارجها،يقدمها له احد الأصدقاء وهو الكاتب اللبناني والماسوني شاهين مكاريوس[2] الذي ربطته بعائلة الأمير صداقة قوية حسب تعبير برونو[3].

في عام 1865م في طريق عودة الأمير إلى دمشق من خلوته الصوفية بمكة والمدينة وأثناء مروره بمدينة الإسكندرية دعاه المحفل الماسوني في المدينة، وكان يحمل اسم "محفل الأهرام" إلى حفل استقبال على شرفه يوم 16 يونيو 1864م وينتسب هذا المحفل إلى محفل الشرق الكبير[4]، وكان الماسونيون يرون أن الأمير استبق انتماءه إلى الماسونية بتصرفه النبيل اتجاه ضحايا فتنة دمشق، وكان محفل هنري الرابع الفرنسي (loge Henri 04 du grand orient) قد كتب له عام 1861م، يقترح عليه ارتقاء الدرجات الثلاث المعمول بها في

---

(1)- آتيين، مرجع سابق، ص152.

(2)- (1853-1910) لبناني من مؤسسي جريدة المقطم بمصر،واحد من أصحاب المقتطف، ومنشئ جريدة اللطائف ألف عدة كتب حول الماسونية: الجوهر المصون في مشاهير الماسون، الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، الدر المكنون في غرائب الماسون. للمزيد حول هذه الشخصية راجع مقال الماسونية بين الحقيقة والخيال، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية، وكتاب: شاهين مكاريوس، الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة 2012م.

(3)- آتيين، مرجع سابق، ص344.

(4)- محفل الشرق الأكبر تأسس في 1776 يضم جماعة النورانيين أي حملة النور وأصبح هذا المحفل صاحب السلطة العليا القوية على جميع محافل العالم من أهم مؤسسيها: وايز هاويت ادم، تسعى إلى نشر مبادئها هي الإيمان بالشيطان الإله الحقيقي المادة، محاربة الدين، العقل مهيمن على الدين. للمزيد حول الموضوع راجع: محمد صفوت السقا أميني سعدي أبو جيب، الماسونية، مرجع سابق، ص 18-19.

أنظمة الماسونية دفعة واحدة كما اقترح عليه لوسيان مورا (Lucien Murot) المعلم الأكبر في المحفل أن يتم تلقينه تعاليم الجمعية بواسطة المراسلة[1].

كان محفل هنري الرابع الذي نشط في فرنسا يسعى لإيجاد أتباع له في المشرق، فعمل على كسب الأمير عبد القادر، فاتصل به رؤساءه وطرحوا عليه أسئلتهم التقليدية[2]، وهي في مجملها تتعلق بواجبات الإنسان تجاه الله وتجاه الإنسانية، وكذلك حول خلود النفس والمساواة والإخاء والحرية[3]، وعندما حصلوا على جواب الأمير عليها، تم قبول انضمامه إلى المحفل الماسوني بعد شهرين من ذلك وأصروا على الاتصال بالأمير تمهيداً لنشر المبادئ الماسونية بين العرب الذين كان يحظى الأمير لديهم بكل الاحترام والتقدير، وعندما حل بالإسكندرية في طريقه للحجاز احتفل محفل الأهرام الذي ينشط بمصر بانضمامه إلى الحركة الماسونية وبذلك اكتسب عبد القادر صفة عضو ماسوني عامل بمحفل هنري الرابع بباريس[4].

لم يحقق دعاة الماسونية ما كانوا يأملون من انضمام الأمير إلى صفوفهم لعمق إيمانه وقوة شخصيته وعزوفه عن كل حركة ليس أساسها الاقتناع بواجب الإنسان نحو خالقه فلم يكلف نفسه الاستجابة لحضور الحفلة التي كانوا يعتزمون إقامتها تكريما له في1865م[5].

كان واضحا بعد ذلك أن الأمير بقي على مسافة من هذه الجمعية، مع أن الصراع حول هذه القضية بقي مستمراً ولم يتم الفصل فيه نهائيا رغم كل ما كتب حول حقيقة انضمام

---

(1)- جورج الراسي، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر، دط، دار القصبة للنشر، الجزائر د ت ص70.

(2)- سعيدوني، مرجع سابق، ص189.

(3)- بن عوف، مرجع سابق، ص156.

(4)- سعيدوني، مرجع سابق، ص190.

(5)- نفسه، ص190.

الأمير من عدمه، ولذلك سنحاول تقديم الحجج التي جاء بها كل من الطرفين محاولين بذلك المقارنة بين ما قاله مدعي انتماء الأمير وبين من نفى عنه هذا الادعاء.

الكثير من المؤرخين تساءلوا حول حقيقة انضمام الأمير إلى الجمعية الماسونية من أمثال ياكونو(x yacono) وبرونو آتيين وآخرون، وقد أعطى المؤرخ الجزائري محمد الشريف سحلي جواب أو استخلاص جيد لهذا السؤال في كتابه (l'émir abd elkader mythes français et réalités algériennes)، أين كانت بدايتها بأحداث دمشق 1860م، وذلك بعد إنقاذه للمسيحيين، فكتب له المحفل يطلب إليه الحضور إلى الحفل فيذكر ياكونو أن انخراط الأمير كان في 18 جوان 1864م، بينما الأمير هذه الفترة حسب شريف سحلي كان في المدينة لأكثر من عام فكيف تم ذلك، وبعد ذلك زار باريس في 1865م لكن لم يزر محفل هنري الرابع[1].

من المؤرخين والكتاب الذين كتبوا حول انضمام الأمير نجد جورجي زيدان[2] صاحب كتاب تاريخ الماسونية العام، وكتاب تراجم مشاهير الشرق" الذي لم يتردد فيه على تأكيد انتظام الأمير في سلك الجمعية خلال مروره بالإسكندرية[3]، أي أثناء عودة الأمير من الحجاز بعد أداءه فريضة الحج، وخلوته الصوفية الشهيرة في مكة والمدينة سنة 1281هـ/ 1864م مر بالإسكندرية وانتظم في سلك الجمعية الماسونية، وعللوا دخوله في هذه الجمعية بأنه كان يرى فيها مؤسسة ذات روح دينية عالية ويبدوا أنهم اعتمدوا في ذلك على نزعته الدينية التي اشتهر بها حسب ما أشار إليه الكاتب فؤاد صالح السيد[4].

---

(1)- Bouamrane. op.cit .p126.

(2)- من لبنان ولد عام 1861م، اتصل فكريا بجمعية الشبان المسيحيين التي انتسب إليها، ثم هاجر إلى مصر، وعمل في جريدة الزمان توفي سنة 1914، كان اهتمامه منصب على التاريخ الإسلامي والأدب العربي واللغة العربية من كتبه نذكر: تاريخ التمدن الإسلامي، تاريخ مصر، تاريخ انكلترا، تاريخ الماسونية... كان من الأوائل الذين كتبوا عن أن الأمير انضم للماسونية. انظر: الماسونية بين الحقيقة والخيال، مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية، 2009.

(3)- جورج الراسي، مرجع سابق، ص72.

(4)- صالح السيد، مرجع سابق، ص303.

أيضا من الأصوات التي كتبت حول القضية نجد كزافيني ياكونو، الذي نشر نشرية من طرف محفل الشرق العظيم بفرنسا سنة 1966م، وذلك أثناء نقل رفاه الأمير ليبرهن أن الأمير كان منظم للماسونية، وحسب محمد الشريف سحلي فإن المؤرخ ياكونو وقع في حيرة وذلك أنه ذكر أن سنة 1865م هي السنة التي من المفروض أن يكون قد أصبح فيها عضوا في الماسونية، ولكنها أيضا السنة التي قطع فيها بصفة نهائية كل العلاقات معها[1].

ويكون الأمير في رأيه قد انخرط في وقت كان محفل الشرق بفرنسا سجل في ميثاقه مبدأين: الإيمان بوجود الله والإيمان بخلود الروح ويكون قد قطع العلاقة حينما الغي هذان المبدأين، لكن التغيير المقصود لم يحدث إلا سنة 1877م[2]، أما تشرشل مؤلف كتاب "حياة الأمير عبد القادر" فيذكر بصراحة العبارة التالية:" **أصبح يحمل شعار جمعية تقوم على مبدأ الأخوة العالمية... وأضيفت إلى ميزة "مجاور النبي" ميزة "ماسوني حر ومقبول"**[3]، لكن لم يكن هناك تأكيد واضح لهذه الادعاءات، فحسب تعبير صالح السيد لم يكلف أحد من المؤرخين – الذين أدعو انتساب الأمير لهذه الجمعية – نفسه عناء البحث والتمحيص فقد ذكروا ما ذكروه نقلاً واقتباساً لا تحقيقاً وبحثاً، ودون أن يقدموا مستندات أو حقائق علمية تثبت صحة ما جاءوا به[4]، وهذا راجع لسببين مهمين:

أولا: لأن الفصل الرابع والعشرين وهو الفصل الأخير من كتاب تشرشل، لم يدونه المؤلف في حياة الأمير كبقية الفصول الأخرى، ونجد في مقدمة الكتاب ما يثبت ذلك وقد ذكره تشرشل بقوله: "**لم يكن يخطر على بالي وأنا أغادر دمشق في ربيع سنة 1860م أن فصلا آخر يضاف إلى تاريخه الغريب كثير الوقائع**"[5]، وفي هذه العبارة نجد تشرشل يؤكد أنه

---

(1)- محمد الشريف سحلي، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق...، مرجع سابق، ص 14.

(2)- نفسه ، ص14.

(3)- تشرشل، مصدر سابق، ص294.

(4)- صالح السيد، الأمير متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص304.

(5)- تشرشل، مصدر سابق، ص37.

غادر دمشق في 1860م، بمعنى أن المعلومات التي حصل عليها عن هذا الموضوع حصل عليها بعيد عن مصدرها الأساسي الأمير، كما أن هذه المعلومات لم يتم إسنادها[1]، كما أن المعلومات عن الفترة الزمنية الممتدة بين 1860م-1864م، أي الفترة التي كتب في أثنائها هذا الخبر وهو في إنكلترا قد أخذها عن شهود عيان من جماعة منتمية إلى هذه الجمعية وهذا يقلل من أهمية الفصل المذكور، كما أن المؤلف لم يذكر أسماء شهود العيان أو أي دليل بهذا الخصوص، وهذا أكبر برهان على كذب هذا الادعاء إذ لا يوجد أي مستند ولم يعثر على أي دليل مادي بين أوراق الأمير على صحة هذا الخبر، ولو كان لدى الجمعية أي دليل لأظهرته للصحفي تشرشل أو لمن يريد الكتابة في الموضوع"[2].

ثانيا: إن كتاب تحفة الزائر الذي يعتبر من أوفى المصادر التاريخية التي أرخت لحياة الأمير منذ إعلان ثورته إلى تاريخ وفاته في دمشق 1883م، لم يتطرق فيه مؤلفه إلى هذا الموضوع إطلاقا فقد أهمل المؤلف هذه الناحية أو ربما أغفلها عمداً، ولكن ما هي مصلحته في إخفاء أمر قد يكون والده قام به كما يدعي بعض المؤرخين !!![3].

أيضا من المؤرخين الذين دحضوا كل ما قيل عن انتماء الأمير لهذه الجمعية نجد الدكتور حسين جمعة رئيس إتحاد الكتاب العرب بدمشق الذي يرى أن منشأ فكرة انتساب الأمير للماسونية يعود أصلا إلى جهل طبيعة الرسائل التي أرسلت إليه من قيصر روسيا وأباطرة النمسا وألمانيا ومن الجمعيات، بما فيها الجمعيات الماسونية نتيجة أحداث 1860م أو من أراد الإساءة إلى التجربة النضالية الوطنية والقومية والإنسانية للأمير عبد القادر الصق به تهمة الماسونية، ونرى أن ما كان عليه من رجاحة عقل ووعي معرفي وإيمان صحيح صادق، وارتباطه بالفكر العربي الإسلامي جعله ينأى بنفسه عن الانخراط بالمحفل

(1)- الأميرة بديعة الحسيني، عبد القادر حقائق و وثائق ...، مرجع سابق، ص268.

(2)- نفسه، ص269.

(3)- صالح السيد، الأمير متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص304.

الماسوني والدعوة إليه، آثر الابتعاد عنها على الرغم من أن دعواها لم تكن ظاهرة بجلاء آنذاك فقد كانت تلبس لباس التآخي و التسامح والتعاون[1].

وهناك دليل أخر جاء في كتاب الأمير عبد القادر لـ"لويس لاتاياد" والذي جاء فيه: "**الأمير رفض حضور حفل كبير أقامه لأجله محفل هنري الرابع في فرنسا وكان بانتظاره حوالي أربعمائة مدعو من كبار الشخصيات**[2]" ثم أكد لاتاياد بأن الأمير فور عودته إلى دمشق انقطعت صلته بالجمعية ورجالها وانمحت من ذهنه بل أن الأمير نفسه صرح بأنه لا يقبل بنشر المسيحية في المشرق، وهذا يعتبر شهادة قوية وقطعية من أجل نفي المزاعم التي يروج لها بعض الكتاب عن الأمير[3].

نجد أيضا النص الذي جاء في مجلة الحقائق الدمشقية في الجزء الثاني منها نشر فيها مقال للأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر بعنوان: "الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية" جاء فيه أنه في سنة 1869م، دعي الأمير مع من دعي من ملوك لحضور احتفالات فتح ترعة السويس، وبينما كان عائداً لسوريا عن طريق الإسكندرية اغتنمت الجمعية الماسونية فرصة وجوده في ذلك القطر فأوفدت إليه هيئة من أعضائها، تكلمت أمامه عن مبادئ الماسونية وخدماتها للإنسانية فأثنى على ما ادعته من خدمات للإنسانية، فاتخذ بعض المنتمين لهذه الجمعية من هذه الزيارة إشاعة حسنة لدخوله في جمعيتهم وبالتأكيد هذا الزعم باطل ولا يليق بهذه الجمعية، فهو كذب وبهتان ومن المعلوم أن جمعية الماسون لها نضام

(1)- عبد القادر شرشار،" **شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر**"، مجلة التراث العربي، س23، ع 90، ربيع الآخر 1424هـ/حزيران- يونيو 2003م، ص.

(2)- الخالدي، مرجع سابق، ص264

(3)-. نفسه، ص264.

كسائر الجمعيات في العالم ولا يدخل أحد بها إلا بطلب رسمي، يسجل على أنه دخل بإرادته فأين طلب الأمير الذي يجب أن يطبع على حجر كما جاء في نظامها المعروف[1].

حسب رأينا فإن هذا المقال يعتبر نفي صريح لما أورده بعض الكتاب ممن أدعو انضمام الأمير لهذه الجمعية السرية وتبرأه مما نسب له، إضافة إلى أن كل من يطلع على مسار حياة الأمير منذ بدايتها سيلاحظ بأن أفكار الأمير وإنسانيته ومواقفه معروفة، وربما لهذه الأسباب وأخرى رأت فيه هذه الجمعية ما جعلها تحاول اكتساب صوته إلى جانبها لما يشكله من فرق ولما له من مكانة كبيرة، خاصة لما عرف عن الأمير واشتهر به.

وسواء انضم الأمير لهذه الجمعية أو لم يفعل، فإن هذه الحركة في بدايتها كانت عبارة عن حركة سلمية ذات أبعاد إنسانية، تدعو إلى التسامح والتفاهم بين جميع البشر ونشر العلم والثقافة، وهو ما دفع العديد من كبار الشخصيات في العالم العربي للانضمام إليها، وعلى هذا فإننا نقول بأن مبادئها الأولى التي بنيت عليها لم تكن تنافي الأخلاق والقيم التي تربى عليها الأمير، رغم هذا فإن هذه المسالة سوف تبقى محل بحث ونقاش دائم ومستمر حتى يتم التوصل إلى معلومات جديدة أو أدلة قطعية تنفي أو تثبت صحة هذا الادعاءات.

(1)- صالح الخرفي، "**الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، ع4، رجب 1391هـ /سبتمبر 1971م، الجزائر، ص17.

المبحث الثالث: موقف الأمير من بعض المشاريع.

المطلب الأول: مشروع قناة السويس 1869م.

كان فرديناند ديليسبس(Ferdinand Delesseps)[1] نائبا للقنصل الفرنسي بالإسكندرية خلال عهد محمد علي عام 1849م، فوثّق صلته بابنه الأمير سعيد[2]، واهتم بدراسة مشروع شق قناة في برزخ السويس تربط البحرين الأحمر والمتوسط، تسهيلا للملاحة الدولية بين الشرق والغرب[3].

عندما عين سعيد باشا عام 1854م خديويا على مصر، عاد فرديناند لإغرائه بمشروع شق قناة السويس والحصول على رخصة أولية لمشروعه[4]، بعد أن أوضح له بأن اسمه سيخلد في التاريخ مثلما خلدت أسماء بناة الأهرام[5]، وهكذا تمت الموافقة على عقد في 1854م يخول له تأسيس الشركة العالمية لقناة السويس للملاحة البحرية لتتولى توصيل البحر الأحمر بالبحر الأبيض وإدارة القناة لمدة 99 سنة تبدأ من تاريخ افتتاح القناة [6].

---

(1)- ينحدر من أسرة دبلوماسية، تقلد عدة مناصب حتى عين قنصل لفرنسا في الإسكندرية، سبق له أن عاش في بلاد شمال إفريقيا كقنصل، تعرف على الأمير في سجنه بمدينة بو الفرنسية، عين في اسبانيا وزيرا مفوضا لبلاده وحين كان يتوجه إلى منصبه عام 1848م توقف لزيارة الأمير وقد حصل على رخصة انجاز حلم عمره المتمثل في شق قناة السويس في عهد سعيد باشا، واستغرق انجاز المشروع 10 سنوات من 1859-1869م.راجع كتاب: محمد مصطفى صفوت انجلترا وقناة السويس 1854-1956م، دط، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية 1956م.

(2)- (1270هـ-1279هـ/1854م-1863م) هو ابن محمد علي، ولد في 31 ديسمبر 1830م، تربى في مدارس فرنسا تعلم على يد نخبة من مهرة الأساتذة مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية، وهو ما أهله لتولي زمام الملك شهدت مصر في عهده حالة حسنة في مختلف المجالات، ارتكب خطأين كبيرين في حياته حسب المؤرخين، الأول: فتح باب استدانة الحكومة، الثاني:إذنه لديلسبس بحفر ترعة السويس، وبعد وفاته ترك البلاد غارقة في الديون.راجع كتاب: عمر الاسكندري وسليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، ص54.

(3)- يحي بوعزيز، "**الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي**"، مجلة الأصالة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، مج 10، س4، ع25، جمادى الأولى / جمادى الثاني1395هـ/ماي – جوان1975م، ص97-98.

(4)- آتيين، مرجع سابق، ص407.

(5)- بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة....، مرجع سابق، ص98.

(6)- إيمان عامر، حكاية قناة السويس، دط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2010م، ص8.

تعرض المشروع لكثير من الجدل واعتبر صاحبه إنسان خيالي، ولاقى انتقادات ونظرات متشائمة، لكن فرديناند كان أكثر موهبة في الإقناع، وعرف كيف يجعل الأمير يقاسمه ثقته بالنجاح وبجدوى المشروع اقتصاديا[1].

كان الأمير يرى في هذا المشروع وسيلة للتطور والرقي ورمزا للانفتاح والتواصل بين الشرق والغرب ولذلك كرس جهوده من أجل إنجاح هذا المشروع ودعمه بكل الوسائل بالمقارنة مع بعض الأطراف الأخرى من مصر وتركيا وانجلترا التي حاولت بطرق عديدة إفشال المشروع وإيقافه.

تلقى ديليسبس معارضة من الباب العالي بعد ذهابه للحصول على الإذن، من القسطنطينية ويرجع سبب معارضة الدولة العثمانية إلى تأثير ساسة الإنجليز، وذلك أنها كانت ترى بلادها من الوجهة التجارية والحربية أقرب إلى الهند من أي مملكة أخرى في أوروبا، عدا اسبانيا والبرتغال وكلاهما ليس بشيء في نظرها، فإذا فتح طريق قناة السويس أصبحت كل شواطئ البحرين الأبيض والأسود أقرب من انجلترا للهند ولذلك كان غرض نابليون عندما فكر في حفر الترعة الإضرار بإنجلترا في الهند[2].

كان اللورد "بالمرستون" رئيس الوزارة الانجليزية في ذلك الحين يعارض أمر تسخير الفلاحين لأنه يعتبره ضربا من الاسترقاق، ومن جهة كان لا يريد أن يرى النفوذ الفرنسي يسود في مصر، لذلك أوعز إلى السفير الانجليزي في القسطنطينية أن يحتج على تسخير الأهالي في الأراضي العثمانية لفائدة شركة أجنبية[3]، كانت مسألة تسخير الفلاحين في أعمال الحفر التي أثيرت من طرف انجلترا قد نشرت في الصحف وأثيرت أمام الدول الأوروبية، ولكن رغم المحاولات الإنجليزية إلا أنها لم تنجح في إفشال المشروع[4].

---

(1)- آتيين، مرجع سابق، ص408.

(2)- عمر الاسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، دط، دار فري ديتوريا القاهرة، د ت، ص12.

(3)- نفسه، ص14.

(4)- محمد مصطفى صفوت، انجلترا وقناة السويس 1854-1956، دط، دار المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية 1952م، ص36.

كان الأمير وفرديناند قد التقوا أثناء فترة اعتقال الأمير، ثم زاره بعد ذلك في دمشق وقدم له مشروعه حول القناة، أعجب الأمير بالفكرة وكاتبه قائلا: "**لا يمكن أن يشكك أي شخص ذكي في أن عملكم يعود بفائدة حقيقية على البشرية و أنه سيكون ذا فائدة عامة وستشع مزاياه على أغلبية سكان المعمورة من أقصاها إلى أقصاها، وندعو الله تعالى أن يسهل لكم إتمام وانجاز ربط الصلة بين المائين**"[1].

أعلن الفرنسيين بأن تأييد الأمير للمشروع كان تلقائيا، وليس بإيعاز من أحد، كما أن ديلسبس اعتبر هذا التأييد بمثابة جواز مرور لإنجاح المشروع[2]، فبعد مرور سنتين على انطلاق المشروع ذهب الأمير بنفسه ليتأكد من مدى تقدم الأعمال، بحيث أنه دعي من قبل الشركة لزيارة موقع العمل، حيث قام بزيارة المنشآت أين قدمت له مختلف الشروح، وبعد أن انتهى من زيارته غادر القاهرة في 18 كانون الثاني–جانفي إلى السويس حيث أبحر في العشرين من الشهر ذاته، وفي نفس اليوم حدث أن توفي الخديوي محمد سعيد وحل محله على العرش ابن أخيه إسماعيل وهو أكبر أمراء العائلة المالكة[3].

كان الخديوي الجديد الذي تولى الحكم في (رجب سنة 1289هـ /جانفي 1863م) معارضاً للمشروع، ولم يكن للشركة لديه تلك المكانة التي كانت لها عند سعيد، فقد كان يرى أن ما نالته من الامتيازات مجحف في حقه وحق مصر، فكان عازم على أن لا يقدم للشركة اليد العاملة المنصوص عليها في عقد الرخصة[4]، وبقي النزاع قائما إلا أن احتكم طرفا النزاع إلى الإمبراطور نابليون الثالث في مارس 1864م[5].

في 16 جوان 1863، فوض مجلس الإدارة المنعقد في باريس رئيسه ديلسبس أن يقدم للأمير هدية، منزلا أو أرضا واقعين في "بير اوبلح"، وهي محلة بين الإسماعيلية والتل الكبير وكتب في ذلك رسالة وجهت للأمير، وكانت هذه الرسالة جواباً من ديلسبس على تلك

---

(1)- بوزيد، مرجع سابق، ص201.

(2)- بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس... ، مرجع سابق، ص101.

(3)- آتيين، مرجع سابق، ص414.

(4)- عمر الاسكندري، مرجع سابق، ص80.

(5)- آتيين، مرجع سابق، ص417.

التي وجهها الأمير من القاهرة كرسالة شكر وعرفان، تهدف لإشراكه في المشروع كما وجه في 5 ماي 1863م رسالة لديلسبس[1]، وتلقى الأمير في نفس الموضوع رسالتين من الخديوي إسماعيل، يطلعه فيهما على أن الشركة لا يحق لها تمليك أي أرض إلى أي أحد.

جاء في مقال يحي بوعزيز في مجلة الأصالة –العدد25– أن قيام الشركة بإهداء هذه الأرض إلى الأمير في منطقة قناة السويس إنما يكون من وراءه أهداف أخرى، تنتظر القناة أن تحققها، وهو ما جعل الخديوي إسماعيل يعارض ذلك بشدة ويعلن بأن القناة لمصر وليست مصر هي التي للقناة، ولذلك دخل في مفاوضات عويصة مع القناة لتتنازل عن البند الذي ينص على حقها في ملكية أراضي واسعة حول القناة[2] ويضيف صاحب المقال بأن التأييد الذي كان من الأمير ربما يعود إلى العلاقات التي جمعته وابنه محمد بديلسبس وأفراد عائلته وخاصة أخيه "جول ديلسبس" الذي كان وكيلا للحكومة التونسية بباريس، فلقد كانوا يتراسلون باستمرار[3]، ثم يضيف بوعزيز قائلا: " **إن شركة قناة السويس بزعامة فرديناند ديلسبس لا يمكن لها أن تقوم بإهداء قطعة أرض في منطقة قناة السويس إلى الأمير عبد القادر لو لم تكن تستهدف تحطيم وحدة مصر الترابية ولو كان عملها هذا لله، فلماذا لا تهدي له قطعة أرض في أوروبا مثلا في باريس أو لندن ولماذا لا تستشير مسبقا صاحب الأرض الحقيقي، خديوي مصر وحكومته؟**"[4].

صحيح أن الأمير كان داعم للمشروع وحاول كل جهده أن يجعل منه حقيقة على الواقع، لكن تفسير هذا الإصرار الكبير من الأمير بالرجوع إلى كل ما بدر منه سابقا راجع إلى محاولة إعطاء المنطقة المكانة التي تستحقها، وذلك بإنشاء مشروع ضخم يعود بالفائدة على سكان المنطقة ويجعل منها قطب ذا مكانة هامة.

---

(1)- آتيين، مرجع سابق، ص416.

(2)- بوعزيز، الأمير عبد القادر و مشروع قناة قابس ....، مرجع سابق، ص103.

(3)- نفسه، ص103.

(4)- نفسه، ص103-104.

رغم أن محاولة الشركة – تمليك أرض بير بوبلح للأمير– لم تنجح، لكن الأمير كان يشعر بأفضالها، وكتعويض لجميلها سارع لتأييد مشروع قناة قابس و البحر الإفريقي[1] الداخلي ففي الوقت الذي أصبحت فيه قناة السويس حقيقة، شرع ديلسبس في دراسة وإعداد مشروع قناة باناما بأمريكا الوسطى للربط بين المحيطين الأطلسي والهادي، برز مغامر أخر بمشروع شق قناة جديدة في شمال إفريقيا، هذا المغامر هو القائد رودير(Le Commandant Roudaire) والمشروع هو شق قناة بين مدينة قابس في خليج قابس وأحواض منخفض الجريد الداخلية غربا[2].

عند قرب انتهاء العمل استعد إسماعيل باشا استعداداً عظيماً للاحتفال بفتح ترعة السويس[3]، وفي رجب 1286هـ/نوفمبر 1869م، دعي الأمير لحضور مهرجان افتتاح قناة السويس، الذي حضر إليه أعيان العالم كله، فلبى الدعوة واجتمع بالملوك والوزراء والأعيان[4]، وحضرت الإمبراطورة أوجيني، وإمبراطور النمسا، وولي عهد بروسيا وألمانيا وأمراء وسفراء من جميع البلدان[5].

حضي الأمير بالتقدير من مختلف الحاضرين من حكام وأباطرة وعلماء وغيرهم وذلك يعود للمكانة التي حققها خلال مسار حياته، فقد أصبح معروف من طرف العرب و الأوروبيين، فكان أينما حل وجد الاحترام والتقدير من الكبير والصغير، وبالنظر إلى مواقفه

---

(1)- مشروع ضخم وعظيم الفائدة لو قدر له النجاح، اهتم به السيد رودير ووضع عنه دراسة قدمها إلى المجلس العلمي بالأكاديمية الفرنسية بباريس، فأحالها هذا على السيد ديلسبس عضو المجلس على اثر عودته من مصر بعد تدشين قناة السويس، فاستحسنه وشجعه ومع أن أهداف رودير غير معلومة عن اهتمامه بالمشروع، إلا أن ديلسبس كان صريحا في أهدافه الاستعمارية، فقد اصطحب معه رودير وتقابل مع رئيس مجلس الوزراء الفرنسي ليقنعه بأهميته، وأكد له بأن انجازه سيحول دون قيام الثورات ضد السيطرة الفرنسية بجنوب الجزائر وتونس ويقضي على محاولة الدولة العثمانية في استعادة سيطرتها على تونس ويوقف أطماع الانجليز ويساعد فرنسا على الفور باحتلال تونس في النهاية. للمزيد راجع: يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، مجلة الأصالة، ع 25، ص100.

(2)- بوعزيز، الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس...، مرجع سابق، ص98.

(3)- السكندري، مرجع سابق، ص83.

(4)- بوعزيز، بطل الكفاح الأمير عبد القادر...، مرجع سابق، ص55.

(5)- بوزيد، مرجع سابق، ص205.

المشرفة سواء في فتنة دمشق أو دعمه لمشروع قناة السويس الذي رأى فيه الأمير وسيلة للربط بين الحضارات والشعوب، فإن مكانته قد زادت واحترام الناس له زاد أكثر.

المطلب الثاني: فكرة تنصيب الأمير سلطان على العرب في الشام.

كانت حياة الأمير عبارة عن مجموعة من المآثر الخالدة، وأصبح بعد أن قضى على الفتنة الطائفية قي سوريا محط أنظار العالم، وخاصة دعاة الاستقلال الذين ظهروا في بلاد الشام ودعوا إلى استقلال العرب عن الدولة العثمانية وإقامة دولة عربية مستقلة، فظهرت في الشام مشاريع كيانات سياسية منفصلة عن العثمانيين من ذلك نجد: حركة الأعيان التي ظهرت بين الأوساط المسلمة في الشام، وفي المقابل برزت حركة أخرى بين المسيحيين الذين أصبحوا يدينون للأمير بحياتهم، فنادوا بفكرة إقامة كونفدرالية سورية.

1- ظروف وعوامل قيام حركة الوجهاء:

شهدت الدولة العثمانية بعد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني[1] على العرش، أسوء الفترات في تاريخها من حيث الاضطراب والانحلال[2]، فعندما دارت الدائرة على الدولة العثمانية، وانتصر الروس عليها، كادت القسطنطينية تقع بأيديهم[3]، وقد انعكست أحداث الحرب الروسية العثمانية (1877م-1878م) التي تمكنت من خلالها القوات الروسية من احتلال أدرنة ووصلت إلى مشارف اسطنبول، وهو ما انعكس بالقلق والخوف على مسلمي الشام، ذلك أنها ستعصف لا محالة بالدولة الإسلامية[4] فعلى الرغم من أن الحرب شنت في

---

(1)- (1842-1918م) ابن السلطان عبد المجيد، تولى السلطنة بعد عزل أخيه مراد الخامس عام 1876م، والدولة العثمانية تمر بأصعب مرحلة في تاريخها وتهددها المخاطر، فحاول الإصلاح، لكن ظروف الدولة الداخلية والخارجية وقفت في وجهه، على الرغم من انه تمكن من إنعاشها بعد مدة، عزل السلطان عبد الحميد في 28 أفريل 1909م بقرار من مجلس المبعوثان بناءا على فتوى صدرت بذلك، ونصب أخوه محمد رشاد سلطانا باسم السلطان محمد الخامس، ونفي إلى سالونيكا ثم ابعد إلى اسطنبول ليبقى سجين في قصره حتى وفاته.انظر كتاب: مذكرات الأميرة عائشة عثمان أوغلي، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، تر: صالح سعداوي صالح، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1991م محمد مصطفى صفوت، انجلترا وقناة السويس 1854-1956م، دط، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية 1956م، ص11 وما بعدها.

(2) - أسمى مهيبل، "**الأمير عبد القادر الجزائري وحركة الوجهاء الشاميين(1877م-1879م)**"، حولية المؤرخ ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع6، جويلية، الجزائر 2005م، ص229.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق.....، مرجع سابق، ص305.

(4)- عشراتي، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق...، مرجع سابق، ص65.

البلقان فإن أصدائها وصلت إلى سوريا، حيث فرض على شعبها ضرائب عالية بصورة استثنائية، وفرض التجنيد للمشاركة في الحرب، وهو ما اثر سلباً على السوريين وخاصة من الناحية الاقتصادية[1].

تسببت هذه الأوضاع في ازدياد التذمر من طرف السكان، وازدياد قلقهم وخوفهم من أن تصبح بلادهم تحت رحمة المستعمر، ولذلك سعوا إلى إيجاد الحل الأنسب بالنسبة لهم وإنقاذ بلادهم، من احتلال محتمل لإحدى الدول الأوروبية المتربصة بهم.

2- مؤتمر حركة الوجهاء الشاميين وقراراته.

دفعت الأوضاع التي ذكرناها سابقا، وجهاء بلاد الشام إلى الاجتماع فيما بينهم وعقد مؤتمر سري في دمشق سنة 1877م، اقترحوا من خلاله فصل البلاد عن الدولة العثمانية[2] واختيار الأمير ليقود حركتهم الاستقلالية عن تركيا ويؤسسوا دولة عربية مستقلة يكون هو ملكها[3].

لعل من أبرز الشخصيات التي تحمست لمشروع تنصيب الأمير نجد أحمد باشا الصلح[4]، والثاني الشيخ أحمد عباس الأزهري وهو أحد علماء الدين السنّة، فكل منهما يعتبر من أبرز من سعى إلى طرح فكرة تولية الأمير، بل لقد كان أحمد الصلح هو الذي قدم الاقتراح بذلك[5].

كان أحمد باشا الصلح، يتولى منصبا عاليا في الإدارة العثمانية، ثم تزعم الحركة الاستقلالية وكان مقيم ببيروت ما جعلها منطلقا للحركة[6]، فاجتمع بأصدقائه المخلصين وسافر إلى صيدا وجبل عامل ودمشق لإيجاد أنصار لفكرته، فاجتمع بالوجهاء والأعيان من أصحاب الممتلكات والأراضي والرأي والمكانة، وعرض عليهم الفكرة حيث تباحثوا فيها

---

(1)- مهيبل، مرجع سابق، ص230.

(2)- بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق....، مرجع سابق، ص229.

(3)- الخالدي، مرجع سابق، ص369.

(4)- من عائلة مغربية سنية من صيدا، زعيم حركة الأعيان، كان قد شارك في جيوش السلطان محمد علي من الشام واتهم بأنه غذى الأزمة التي فجرت المذابح المسيحية في سوريا عام 1860م، كان يعمل على التقريب بين السنة والشيعة. للمزيد راجع: سليمان عشراتي، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق، مرجع سابق، ص66-67.

(5)- عشراتي، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق ...، مرجع سابق، ص66-67.

(6)- مهيبل، مرجع سابق، ص230.

وتشاوروا بشأنها، وعند حلولهم بدمشق نزلوا عند الأمير في بيته بدمر أين تباحثوا معه الأمر[1].

بعد عودة أحمد الصلح إلى بيروت، أرسل ابنه"منح" والأستاذ الأزهري لدعوة العلماء السوريين لحضور الاجتماع، فزاروا الشمال السوري، حلب، حمص، حماه، اللاذقية و رؤساء العشائر العلوية، واتجهوا جنوبا إلى حوران و جبل الدروز[2].

لبى الوجهاء الشاميين دعوة الاجتماع بدمشق، أين تمت الاجتماعات في منزل السيد حسن تقي الدين الحصني أحد علماء دمشق السنيين[3]، وحول هذا الاجتماع يقول المؤرخ الشيعي محمد الشيعي جابر آل صفا، أن ذلك المؤتمر هو مؤتمر بيعة الأمير عبد القادر ملكاً على العرب[4]، وقد اجتمع وجهاء بلاد الشام من مسلمين سنة وشيعة، ومن نصارى وموارنة[5]، ويعتبر هذا المؤتمر هو أول مؤتمر شارك فيه الشيعيون للتباحث بشأن استقلال سوريا مع وجهاء سنيين[6].

جاء المؤتمر في نهايته بقرارين مهمين وهما:

الأول: تحقيق استقلال بلاد الشام عن الدولة العثمانية بالانفصال عنها[7]، والتي كانت تشمل (سوريا، الأردن، فلسطين، لبنان، اسكندرون، أنطاكيا، عينتاب مرعش اورفة)[8].

الثاني: الموافقة على الاقتراح الذي صدر وهو تنصيب الأمير كملك على هذه البلاد[9]، وكلف أحمد الصلح بنقل القرار إلى الأمير، وتذكر أسمى مهيبل نقلا عن عادل الصلح قوله: "**بتكليف من المؤتمر حمل جدي القرار إلى الأمير**"، وأكد على ذلك صاحب كتاب تاريخ جبل عامل(جابر آل صفا) فيذكر:" **المؤتمرون أقروا**

(1)- مهيبل، مرجع سابق، ص231.

(2)- نفسه، ص231.

(3)- نفسه، ص 231.

(4)- الخالدي، مرجع سابق، ص372.

(5)- نفسه، ص367.

(6)- مهيبل، مرجع سابق، ص 231-232.

(7)- أباظة، مرجع سابق، ص28.

(8)- مهيبل، مرجع سابق، ص232.

(9)- اباضة، مرجع سابق، ص28.

الأمير عبد القادر الجزائري أميراً على سوريا، ونقل القرار للأمير، المغفور له أحمد باشا الصلح"[1].

لقد وجد الوجهاء المؤتمرون في دمشق الأمير المرشح الأنسب للقيام برئاسة مملكتهم، ويعود هذا الاختيار إلى مجموعة من الأسباب التي اجتمعت لدى الأمير دون الآخرين، فوقع الاختيار عليه رغم أنه من بلاد المغرب العربي ومن الجزائر خاصة والدولة المقامة تكون في المشرق وفي سوريا خاصة، رغم ذلك فإن هذا الأمر لم يشكل أي فرق يذكر أما عن الأسباب التي رأينا أنها قد تكون الأساس الذي نظر من خلاله وجهاء الشام في اختيارهم للأمير نذكر:

- لقد وجد فيه أهل الشام الأمل الوحيد في استقلالهم، لما يتمتع به من هيبة واحترام عند العثمانيين والعرب على حد سواء[2]، وهو الشخصية الوحيدة التي تستطيع أن أن تقنع الأتراك بحق العرب في الاستقلال[3].
- يعود الاختيار إلى أنه مجاهد ذو نسب شريف، وعالم ذو مقام رفيع والمحايد الذي يمكن أن تنضوي تحت لوائه مختلف الطوائف والملل في المنطقة [4].
- خبرته في رئاسة دولة مستقلة في الجزائر، جعلته الاختيار الأفضل والطبيعي للمؤتمرين الذين وصفهم المؤرخ" كومتر" بالمتآمرين[5]ـ[6]، فهو الذي سبق له أن أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)[7].
- هو الذي يمكن أن تتفق عليه كلمة الدول الأوروبية ذات المصالح المتصارعة في المنطقة، خاصة بعد موقفه الإنساني من فتنة 1860م.[8]

---

(1)- مهيبل، مرجع سابق، ص232.

(2)- بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق.....، مرجع سابق، ص229.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق....، مرجع سابق، ص305.

(4)- نفسه، ص78.

(5)- ذلك أن الفكرة التي كانت عند العثمانيين تمحورت حول محاولة الوجهاء بحركتهم القضاء على الوجود العثماني في المنطقة، على الرغم من أن حركتهم كانت تهدف إلى تجنيب البلاد الاحتلال الأجنبي، لا الانفصال عنها كما أشيع.

(6)- مهيبل، مرجع سابق، ص232.

(7)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا.....، مرجع سابق، ص78.

(8)- اباضة، مرجع سابق، ص28.

صحيح أن هذه الأسباب قد تكون كافية لاختيار الأمير، لكن إذا رأينا بأنه ليس من المشرق وإنما من المغرب العربي، ورغم ذلك فقد تم اختياره كملك على مملكة بعيدة عن موطنه والتي أصبحت منفاه الأخير بعد 1856م، فمن خلال ذلك نلاحظ أن المسافة والبعد الإقليمي لم يكن يشكل فرقا ولم يكن له أي اعتبار في ذلك الوقت، بل كانت كل بلاد العرب وكأنها رقعة جغرافية واحدة، وكل الشعوب متلاحمة ومتعاونة فيما بينها لا فرق بين جزائري أو سوري أو لبناني...فكلهم عرب أبناء جلدة واحدة في النهاية.

3- موقف الأمير من هذه الحركة.

من حيث الموقف الذي بدر من الأمير فقد اتفق عليه مختلف المؤرخين، فتذكر الأميرة بديعة الحسيني: بأن الأمير عندما عرض عليه الموضوع، لم يتحمس له، ولم يرفضه، لكنه نصح بأن يضل الارتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائما [1].

جاء في مقال أسمى مهيبل أن المباحثات التي دارت بين أحمد الصلح والأمير دارت حول ثلاث نقاط مهمة وهي:

1- الخلافة: كان شرط الأمير في حالة نجاح خطة الوجهاء أن يضل الارتباط الروحي بين بلاد الشام والخلافة العثمانية، وأن يبقى السلطان العثماني خليفة وسلطان على المسلمين[2].

2- البيعة: اشترط الأمير أن تتم البيعة له من أهل البلاد جميعاً، فوافق على ذلك أكثر المجتمعين[3].

3- ماهية الاستقلال المنشود: أقر الوجهاء مبدأ السعي لتحقيق استقلال البلاد وأجل البث في مدى الاستقلال حتى تظهر نتيجة الحرب، عندها يتم البث في التالي:

أ- العمل على تحقيق الاستقلال التام، وذلك في حال تعرض بلاد الشام لخطر الاحتلال الأجنبي.

---

(1)- بديعة الحسيني الجزائري، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق.....، مرجع سابق، ص229.

(2)- اباضة، مرجع سابق، ص28.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا ....، مرجع سابق، ص78.

ب- العمل على تحقيق الاستقلال الذاتي، بتشكيل إمارة عربية في إطار الخلافة العثمانية، وذلك في حال عدم تعرض بلاد الشام لخطر أجنبي[1].

من خلال ما سبق نلاحظ بأن هذه الحركة لم تكن توجه عدائها للدولة العثمانية كما أشيع وإنما عدائها كان موجه ضد خطر الاحتلال الأجنبي الذي لم يكن باستطاعة الدولة العثمانية القضاء عليه، فهدفها لم يكن الانفصال عنها.

في إطار التحضير العملي للحركة قام الأمير رفقة الوجهاء، بجولات دعائية في المنطقة تمهيدا لبيعته، وأرسل وفودا للدول الأوروبية لكسب تأييدها للقضية الاستقلالية فقام الأمير بجولات إلى صيدا، وجبل عامل، عكا، يافا، القدس، نابلس بعلبك وغيرها[2].

4- الأمير عبد القادر ويوسف بك كرم[3].

بعد نشاط الأمير في الترويج للحركة، قام الزعيم اللبناني يوسف بك كرم، الذي كان يقيم في ايطاليا منفيا، بإرسال عدة رسائل للأمير، كان منها رسالة بايع فيها الأمير بالإمارة جاء فيها: "**إن فخامتكم أحق وأولى من غيرها بالإمارة وذلك نضراً للأصل الشريف والمقام الرفيع، ونضراً لمقتضيات الظروف وأحكام العناية الإلهية...ولم يبقى للجنس العربي سبيل للنجاة من غوائل أرباب المطامع إلا بإعطاء القوس راميها والإمارة مستحقها**"[4]، ورجاه أن لا يدع الفرصة الحاضرة تذهب بدون جدوى وفائدة، وأن يستغلها للأفضل حتى لا يكون هناك ندم قائلا: "**كما أن العجلة تسبب أخطارا فالتباطؤ يسبب أضرار وضياع للمنافع**

---

(1)- مهيبل، مرجع سابق، ص234.

(2)- نفسه، ص237.

(3)- يوسف بك كرم ابن بطرس كرم من الطائفة المارونية، ولد في قصبة اهدان من جبل لبنان في ماي 1823م، تعلم اللغة العربية والايطالية ونبغ في الفرنسية حتى صار من كتابها الأدباء لما بلغ العشرين عين حاكم على اهدان وفي 1860م عين قائم مقام على المسيحيين في جبل لبنان، وسرعان ما وقع خلاف بينه وبين داوود باشا حاكم جبل لبنان لأسباب سياسية وإدارية واستمرت الفتنة لسنوات حتى اتفق الفرنسيين والعثمانيين على السماح له بالخروج من البلاد، فقصد بيروت وسافر إلى مرسيليا 1867 ثم غادرها إلى الجزائر ومنها إلى باريس، بلجيكا وروما، واستقر في نابولي حتى توفي1888م، للتوسع أكثر أنضر: الزركلي، الأعلام، ج9، مصدر سابق، ص 293-294.

(4)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق....، مرجع سابق، ص306.

المنشودة" ثم يضيف" **لا نجاة ولا نجاح للأقطار العربية جمعاء إلا بالاتحاد تحت رايتكم الشريفة**"[1].

أما عن الأسباب التي دفعت كرم لاختيار الأمير فهي نفس الأسباب التي دفعت الوجهاء الشاميين، فكرم اعتبره مرجع وفخر أبناء الجنس العربي، فبدأ التمهيد لمشروعه، وقام بحملة تعبئة إعلامية شعبية، حيث وجه رسائل للأهالي تحدث فيها عن مسألة إحياء السلطنة العربية، فعبر عن هذا في إحدى رسائله قائلا: "**ينبغي لنا معاشر أبناء العربية أن نظهر للخاصة و العامة حبنا الأخوي والجنسي..فلا تنسوا شرف آبائكم العظام...فإن انتم أخلصتم له النية يا أبناء المذاهب المؤمنين،... وبسطتم أيديكم وصافح بعضكم بعضا بالمحبة والسلام النقي، كنتم أسيادا في وطنكم وإلا فانتم عبيد لعبيد الكافرين**"[2].

تبادل الأمير وكرم بك عدة رسائل تناولت طريقة سير المشروع وأهدافه وفوائده إضافة إلى وسائل نجاحه، أما عن موقف الأمير من المشروع فيظهر في إحدى رسائله التي احتوت على موافقته المبدئية والتي كانت مقترنة دائماً بالنتيجة التي ستنتهي عليها المسألة الشرقية[3]_[4].

نلاحظ من خلال ما سبق بأن المشروع الذي طرح من طرف الوجهاء يتوافق مع المشروع الذي طرح من طرف يوسف كرم، فكلاهما كان يسعى إلى دولة عربية مستقلة بقيادة الأمير وسواء كان المشروعان نفس الشيء أو مختلفان فإن كلا الحركتان أثيرتا بسبب التخوف من الطمع الأجنبي وليس بغرض القضاء على الخلافة.

---

(1)- الراسي، مرجع سابق، ص64.

(2)- مهيبل، مرجع سابق، ص241.

(3)- كانت المسألة الشرقية في هذه الفترة مسألة تعني بالمشكلات الدولية المترتبة عن انحلال الإمبراطورية العثمانية وتجزؤها الوشيك، هي مسألة تناولت المصالح المتضاربة والتنافس العنيف بين الدول الأوروبية حول وراثة هذه الإمبراطورية للمزيد راجع: محمد الثابت الشاذلي، المسالة الشرقية "دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299- 1923 دط، مكتبة وهبة، القاهرة 1989م.

(4)- مهيبل، مرجع سابق، ص241-242.

أما عن مصير حركة الوجهاء فكان مرتبط ومن البداية بنتيجة الحرب الروسية – العثمانية التي انتهت بعقد مؤتمر برلين 1878م، وتولي عبد الحميد الثاني السلطة، ما أدى إلى تأخير حل المسألة الشرقية، وطويت صفحة المؤتمر[1].

ويضاف إلى هذين الحركتين، ما كانت تحاول فرنسا القيام به، من خلال إرسال حملة عسكرية إلى لبنان وذلك لإيجاد عذر لها، أين بدأت تزيل الستار عن مخططها[2]، حيث كانت ترمي إلى اقتطاع الإقليم اللبناني_السوري من الإمبراطورية العثمانية المحتضرة وإنشاء دولة مسيحية في لبنان وتنصب عليها أحد أفراد أسرة "شهاب"، بينما كانت تأمل في إقناع الأمير حتى يكون على رأس الدولة الثانية[3]، وتعددت من سنة 1860م إلى 1877م الضغوطات والمناورات لتوقيع الأمير، لكن ذلك كان غير مجد لأن فرنسا اضطرت أمام معارضة الدول الأخرى و رفض الأمير القاطع أن تدفن مشروعها[4].

إن مسألة إنشاء دولة عربية تحت سلطة الأمير، إنما جاءت نتيجة للفعل الإنساني الذي بدر منه خلال أحداث 1860م بدمشق، فقد أصبح محط أنظار العالم وأمل دعاة الاستقلال العربي، ولذلك وجدوا فيه الشخص المناسب لهذه المهمة، غير أن الظروف والأوضاع المحيطة لم تكن تساعد على القيام بأي عمل قد يكلف الكثير فيما بعد، فأهملت المسألة نهائيا.

(1)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق....، مرجع سابق، ص307.

(2)- الشريف سحلي، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية و حقائق...، مرجع سابق، ص13.

(3)- نفسه، ص13.

(4)- نفسه، ص13.

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر والجزائر.

المطلب الأول: تدخل الأمير لمساعدة المهاجرين الجزائريين.

تعددت مقاصد المهاجرين الجزائريين، منهم من قصد الجارتين تونس والمغرب والبعض الأخر الحجاز، كما توجه البعض الأخر نحو بلاد الشام، ويمكن القول أن هجرة الجزائريين نحو المشرق العربي خلال العهد العثماني، كانت هجرة اختيارية لأغراض علمية وتجارية أما بعد الاحتلال الفرنسي فقد أصبحت الهجرة اضطراراً حتم على الجزائريين مغادرة الوطن للحفاظ على أرواحهم ودينهم.

أجبرت فرنسا الأعيان والقادة والسياسيين، الذين رأت فيهم تهديداً لمصالحها في الجزائر على مغادرة البلاد وتهجيرهم بالقوة، بسبب تخوفها من تعاونهم مع الأتراك أو الانضمام إلى المقاومات الشعبية، مثل مقاومة الأمير عبد القادر[1]، فالذين هجّروا (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة) هم أكثر من الذين هجّروا من تلقاء أنفسهم كما أن معظم المهاجرين الأوائل أواخر النصف الأول من ق 19م، كانوا العلماء والفقهاء والمشايخ والعائلات الثرية، وفيما بعد التحق بهم الجنود والفلاحون والتجار والعائلات الفقيرة، وقد كان الأمير وعائلته وأتباعهم أقطاب جذب نحو سوريا، وكان أغلب المهاجرين من الشرق الجزائري وبالأخص من بلاد القبائل[2].

بعد مجيء بوجو إلى الحكم (1841-1847م) ازدادت الهجرة الجزائرية نحو المشرق أكثر بسبب السياسة الفرنسية المتسلطة، ما جعل فرنسا تتخوف من تضاعف الهجرات وحدوث اضطرابات في الجزائر وخلوها من السكان، فسارعت إلى تدبير مؤامرة تجعل المسلمين يعدلون عن التفكير في الهجرة، فأرسلت جاسوسها ليون روش[3] إلى القيروان

---

(1)- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1996م، ص193.

(2)- الخالدي، مرجع سابق، ص253.

(3)- جاسوس فرنسي جاء إلى الجزائر في 1832م، وتعلم فيها العربية وقواعد الإسلام والعادات وخالط أهل البلاد، ثم أعلن إسلامه سمى نفسه "عمر" وتوجه نحو الأمير وأعلن له إسلامه وخدمه وتودد إليه، وقد أطلعه الأمير على أسراره ورافقه في حله وترحاله وأقامه بين أصحابه بعد مدة تنكر روش للأمير وأظهر حقيقة أمره وفر منه وحاول الحصول على فتوى بمساعدة أتباع الطريقة التجانية تجيز وقف الجهاد. ألف كتاب سماه 32 سنة عبر الإسلام، للمزيد راجع: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية(1830م-1900م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م، ص23-237.

والأزهر لاستصدار فتوى تمنع الهجرة الجماعية وحمل السلاح في وجه الكفار ما لم يتعرضوا للدين بالأذى.[1]

لكن الهجرة والتهجير لم تتوقف وبقيت مستمرة فمن 1843-1847م، هاجر مجموعة من الأعيان والقياد والعلماء منهم قدور بن رويلة، أحمد بوضربة، الكبابطي، أحمد الطيب بن سالم، المهدي السلاوي، محمد الخروبي، صالح السمعوني، كما أرغم على الهجرة بومعزة حسين بن عزوز، إبراهيم بن أبي فارس، ثم خرج الأمير من الجزائر ورفقته عشرات من أتباعه وأقاربه وقياده، أين توجه بعضهم للمشرق وأجبر الباقون على البقاء معه في سجون فرنسا حتى أطلق سراحه 1852م[2].

بدأ اهتمام الأمير بشؤون وأحوال المهاجرين الجزائريين منذ 1856م،خاصة بعد ازدياد عددهم سنة 1861م، ونضرا لاحتكاكهم بالناس فإن قضاياهم ازدادت وقراهم توسعت أكثر ولم تكن لدى الأمير وكبرائهم رغبة في احتكاك هؤلاء بالسلطة العثمانية بسبب الفساد الإداري، وتخوفه من ضياع حقوقهم خاصة وأنهم لا يتكلمون اللغة التركية العثمانية[3].

من خلال ما سبق نلاحظ أن المقصد الأساسي عند الجزائريين كان بلاد الشام بدرجة أولى، وازداد توافد الجزائريين عليها بعد وصول الأمير عبد القادر، الذي وجدوا فيه الملجأ الآمن الذي يحميهم من كل خطر ولذلك بدأت الوفود تهاجر نحوه حتى تكون بقربه، وحسب رأينا فإن أسلوب الأمير وطرق معاملته ومساعدته للناس من قريب أو من بعيد هو ما دفع بهم إلى اللحاق به والسكن معه والسعي إلى التواجد بقربه.

تعددت الهجرات واختلفت من فردية إلى جماعية، مع أن الهجرات الجماعية أصبحت السمة الغالبة في جل الأحيان فنجد أن قبائل بكاملها قد هاجرت نحو المشرق.

من القبائل المهاجرة التي اهتم الأمير بمساعدتها نجد قبيلة أولاد خالد، والتي كانت مقيمة بتونس، فأرسل لهم الأمير الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي لمساعدتهم على التنقل

---

(1)- سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، مرجع سابق، ص194

(2)- نفسه، ص195.

(3)- الخالدي، مرجع سابق، ص253.

إلى بيروت، كما قام هذا الأخير بزيارة عدة قبائل في الجزائر منها واد البردي والقبائل المحيطة بمنطقة سهل حمزة وعين بسام وسور الغزلان وكانت النتيجة أن تقدمت عدة قبائل بطلبات الهجرة الجماعية للسلطة الفرنسية، والتي رفضت الكثير وهذا يعود إلى شعور الفرنسيين بأن الهجرة الجماعية، إنما تدل على تذمر سياسي وعدم ثقة في المستقبل تحت إدارتهم، ولذلك رفضت العديد من الطلبات[1].

فمن القبائل التي هاجرت نجد كذلك قبيلة أولاد عيسى، وهي من أكبر القبائل الجزائرية المهاجرة إلى الشام، وقد تمت هجرتها على مراحل، وفي عام 1871م شاركت هذه القبيلة في ثورة المقراني فطالها التذمر والتشريد، الذي قامت به السلطات الاستعمارية ضد المشاركين في هذه الثورة، فكانت النتيجة أن هاجرت عائلات أخرى والتحقت بمن سبقوها إلى الشام وأسكنت هذه القبيلة في وسط منطقة حوران[2].

بعد ثورة 1871م تدخل الأمير مرة أخرى لصالح الثوار والمجاهدين، الذين اضطروا مثله لمغادرة الوطن والتشرد في مواطن أخرى وعلى رأسهم المقرانيين ومحمد الكبواتي، بن طاهر رزقي، بن ناصر شهرة ومصطفى العقبي وآخرون، وقد حاور الأمير في شأنهم الفرنسيين والتونسيين والعثمانيين، و حرص الأمير على مساعدة المهاجرين بكل الوسائل، فنجد أن الثوار المقرانيين بعد فشلهم التجؤا إلى تونس واستنجدوا به في دمشق ليساعدهم على حل مشاكلهم، ولم يتردد الأمير في تقديم المساعدة لهم[3]، فلم يكن المهاجرون الجزائريون بحاجة للاتصال بالسلطات المدنية أو القضائية فكل معاملاتهم من زواج وطلاق وإرث وشراء وبيع كانت تتم برعاية الأمير، وقد عين لهم الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المالكي ليتصدر الإفتاء ويفصل في قضاياهم[4].

---

(1)- الخالدي، مرجع سابق، ص140.

(2)- نفسه، ص145.

(3)- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر والحوار في خدمة الإنسانية، ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية المنعقد يومي 22 – 23 نوفمبر 2000م، من مؤسسة الأمير عبد القادر، وزارة الثقافة، تلمسان، ص58.

(4)- الخالدي، مرجع سابق، ص254.

كما أن مساعدات الأمير للمهاجرين الجزائريين لم تقتصر فقط على المتواجدين في دمشق وإنما شملت جزائريين في مختلف المناطق العربية ومنهم المتواجدين في تونس.

فيما يخص علاقات الأمير ورجال الدولة التونسية، فإنه قد أخذ منذ أول عهده بالإقامة بدمشق يتدخل لدى رجال الدولة من أجل اطمئنان الجزائريين الذين رحلوا إلى البلاد التونسية كمهاجرين، فيقبل رجال الدولة وساطته ويستجبون لطلبه، ويفسحون المجال للمهاجرين الجزائريين، ونجد في هذا العديد من الرسائل التي تحمل ختم الأمير[1].

نجد في إحدى الرسائل التي أرسلها الأمير يخاطب الوزير مصطفى خزندار في شأن قرابة له من جهة الأم، هاجروا إلى تونس وهم من الأشراف العلماء الفقراء ويطلب أن تسعفهم الدولة بأرض زراعية يعيشون منها، وقد استجيب لطلبه، وأعطتهم الدولة التونسية الأرض المطلوبة في 1272هـ، أما سنة 1281هـ فالأمير وجه رسالة إلى الوزير مصطفى خزندار يرجوه أن يقدم يد العون إلى: "ابن عمنا السيد الميلود الذي ما أحب إلا سكنى تونس المحمية...فأراد أن يكون إلى جواركم الذي لا تخفر له ذمة ولا تلحق صاحبه ملامة ولا مذمة" وقد استجيب طلب الأمير هذا[2].

قام الأمير بإرسال عدة رسائل يستوصي فيها الوزير التونسي بالمقرانيين المهاجرين إلى تونس ومما قاله في إحداها: "**إنه بلغنا وصول الفئة المقرانية وأولاد يلس إلى الحاضرة ملتجئين إلى سطوتك التي هي أقوى ما يشد به الملتجئ**"[3].

نلاحظ أن اهتمام الأمير بالمهاجرين الجزائريين منذ وصوله إلى دمشق، كان كبيرا وسواء استقر هؤلاء المهاجرين بدمشق أو بتونس أو بغيرهما فإنه لم يبخل بمساعدته مهما كان نوعها وبخاصة العلماء وطلاب العلم والدين.

---

(1)- أحمد توفيق المدني، "**الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر س 13،ع75، رجب- شعبان 1403هـ/ماي-جوان 1983م، ص173.

(2)- نفسه، ص173.

(3)- بوعزيز، الأمير عبد القادر والحوار....، مرجع سابق، ص156-157.

المطلب الثاني: موقف الأمير من بعض الثورات في الجزائر.

كان الأمير خلال فترة اعتقاله، وحتى إطلاق سراحه معزولا عن العالم، خاصة بعد تنكر فرنسا لوعودها، كما انه لم يكن بإمكانه معرفة الأحوال في الجزائر أثناء إقامته ببروسة وذلك لاشتغاله بتهيئة الأوضاع له ولعائلته من أجل الاستقرار، إضافة إلى المراقبة الدائمة التي كانت تلحقه باستمرار، فلم يكن بمقدوره الحصول على أخبار الحوادث التي كانت تجري في الجزائر إلا بعد أن استقر في دمشق، حيث كانت الأخبار تصله عن طريق الحجاج المغاربة المارين بدمشق[1].

1- موقف الأمير من مشاركة ابنه في ثورة 1871م.

بعد سقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية ونابليون الثالث، قامت ثورة المجلس البلدي بباريس وتم إعلان النظام الجمهوري الفرنسي الثالث يوم 4 سبتمبر 1870، فأرسل الأمير رسالة تهنئة لرجال العهد الجديد[2]، وكان محي الدين ابن الأمير يشغل في تلك الفترة منصب القضاء في أزمير، لكنه كان كثير الشكوى، فحسب يحي بوعزيز نقلا عن رواية عادل الصلح: فإن محي الدين كان يتوق للعودة إلى النضال من أجل تحرير الجزائر[3].

أذن الأمير لابنه بالذهاب للإسكندرية لمرض أصابه، فانتهز الفرصة للذهاب إلى الجزائر خاصة بعد أن قامت الثورة بين فرنسا وبروسيا، ورغبته للالتحاق بثورة المقراني والحداد والصبايحية على الحدود الشرقية، فتوجه إلى تونس أين لقي كل الاهتمام والاحترام، لكنه كان يريد الذهاب للجزائر، غير أن شهرته حالت دون ذهابه خوفا من انكشاف أمره، فاكتفى في البداية بتحرير عدة رسائل لزعماء الجزائر ليتهيئوا لمحاربة فرنسا عند قدومه[4].

بعد أن أقام بتونس مدة قصيرة غادر محي الدين بحراً إلى الشام في نوفمبر، مستغلا انشغال الدوائر التونسية بالمشاكل الداخلية، فوصل إلى مالطا ومنها توجه إلى طرابلس

---

(1)- بوطالب، مرجع سابق،241-242.

(2)- يحي بوعزيز، مراسلات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر 2009م، ص14.

(3)- يحي بوعزيز، "**وثائق جديدة عن محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1871م وعن موقف أبيه والسلطات التونسية**"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، س 5، ع38، شوال 1396هـ/أكتوبر 1976م، ص25.

(4)- عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح: محمد بهجة البيطار، ج3، ط1، دار صادر بيروت 1963م، ص1426-1427.

الغرب ثم نفطة ونفزاوة، وهو متخفي بسبب أعين المخابرات التونسية التي كانت تتبع أخباره وتتعقبه، وقد يكون السبب الذي دفعها لتعقبه هو الأزمة المالية التي كانت تعانيها، وتخوفها من أن يسبب لها مشاكل مع فرنسا[1].

كان محي الدين يتقدم من طرابلس إلى نقطة الالتقاء بالشريف بوشوشة وابن ناصر بن شهرة- الذي كان متمرداً ضد السلطات الفرنسية منذ عام 1851- وإبراهيم بن عبد الله لتنظيم حركة الجهاد[2]، واتجهوا نحو سوف وقد كانت السلطات التونسية على علم بخبر وصوله إلى منطقة الحدود أين التقى بمجموعة من الجزائريين والمنفيين [3]، إلى تونس كما كتب محي الدين عدداً كبيراً من الرسائل خلال شهر ديسمبر إلى زعماء جزائريين يدعوهم للجهاد وتجنيد الناس للكفاح، وقد احتوت هذه الرسائل على دعوة الناس للجهاد والعمل على السيطرة على تونس وتحرير الجزائر[4].

بينما كان محي الدين ينشط في منطقة الحدود اتصلت الحكومة الفرنسية بالقائم بأعمال قنصليتها في دمشق، ليطلب من الأمير أن يعلن استنكاره لنشاط ابنه، فحصل لديه رد فعل شديد.[5] فاستنكر منه ذلك و حرر عدة رسائل وجهها إلى الحكومة الفرنسية ببوردو، والى وزراء تونس، وقناصل فرنسا في دمشق وطرابلس الغرب، وطلب من الجميع أن يعيدوا ابنه إلى المشرق كما قبح فيها عمل ابنه ووصفه بالجنون واعتبره عاصيا، وكاتب ابن عمه في معسكر ليحث الناس على مقاطعته[6].

---

(1)- بوعزيز، وثائق جديدة عن محي الدين...، مرجع سابق، ص26-27.

(2)- يحي بوعزيز،" **ثورة محمد المقراني والشيخ ابن حداد**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، س 1 ع 2، ربيع الأول 1391هـ/ماي 1971م، الجزائر، ص27.

(3)- منهم الشيخ سليمان بن جلاب السلطان السابق لتقرب الذي ابعد عام 1854م، الشيخ إبراهيم بن عبد الله مقدم إخوان عبد القادر الجيلاني بورقلة، الشيخ مصطفى بن عزوز مقدم زاوية نفطة الرحمانية الذي فتح زاويته لكل الجزائريين ، محمد بن عشابى البسكري الذي التجأ إلى نفزاوة، الشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي أصبح كاتب لدى الأمير، محمد ابن أحمد الصغير ابن الخليفة السابق للأمير ....وآخرون. للإطلاع راجع: مقال يحي بوعزيز، وثائق جديدة عن محي الدين ابن الأمير، مرجع سابق، ص28.

(4)- يحي بوعزيز، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد، دط، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، د ت ص164-165.

(5)- يحي بوعزيز، "**موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر**"، مجلة الأصالة، ع 23، ص24-25.

(6)- بوعزيز، مراسلات الأمير عبد القادر...، مرجع سابق، ص14.

رغم الضجة التي أثارها الأمير والحكومة التونسية، فإن محي الدين حاول أن يواصل نشاطه بداية عام 1870م، وقد تمكن من السيطرة على عدة قرى، ثم اصطدم فيما بعد بقوات فرنسية تفوقت فيها عليه ما اضطره للانسحاب داخل الحدود التونسية ومنها إلى الشام، أين استقر بصيدا لمدة عام، ثم تدخل لصالحه عدد من الأصدقاء حتى تم العفو عنه[1].

2- أسباب الموقف السلبي للأمير من مشاركة ابنه.

تناولت العديد من الكتابات الضجة الكبيرة- حسب رأيهم- التي أثارها الأمير، بعد أن علم بمشاركة ابنه في الثورة المسلحة التي عمت وسط الجزائر وشرقها بزعامة المقراني والحداد وقد أسهب المؤرخون في كتاباتهم وتفسيراتهم حول الأسباب التي أدت إلى ردة الفعل هذه: فما هي هذه الأسباب التي دفعت بالأمير إلى الوصول إلى حد التبرؤ من ابنه ووصفه بالعاق؟.

من الأسباب التي أوردها يحي بوعزيز في مقال له في مجلة الأصالة في العدد38 نذكر:

أ- الموقف السلبي لسكان شرق الجزائر تجاه ثورته في بداية الاحتلال وبخاصة عائلة المقراني التي ساعدت الفرنسيين على اختراق مضيق البيبان، الذي أدى إلى نقض معاهدة تافنة بينه وبين الفرنسيين عام 1839م[2]، كان هذا من أهم الأسباب التي رآها الكتاب سبباً في هذا التصرف، غير أنه ظهرت وثائق جديدة تخالف هذا الرأي وتناقضه ذلك أن المقرانيين في صدر الاحتلال انقسموا إلى قسمين كبيرين: فرع أولاد الحاج وفرع أولاد عبد السلام، وبعد المعاهدة دخل محمد عبد السلام في خدمة الأمير في حين دخل أحمد المقراني زعيم فرع أولاد الحاج في خدمة الفرنسيين، وقد كانت بين أبناء العم خصومة منذ القدم لذلك عين الفرنسيون أحمد المقراني خليفة على مجانة ليضربوا به الأمير وخليفته[3]، كما وقد عثر فيما بعد على رسائل للأمير وجهها إلى التونسيين يحثهم على تقديم المساعدة لأولاد مقران ومن معهم، ومما قاله

(1)- بوعزيز، وثائق جديدة عن محي الدين...، مرجع سابق، ص34.

(2)- نفسه، ص32.

(3)- بوعزيز، الأمير عبد القادر والحوار...، مرجع سابق، ص55.

في رسالته إلى مصطفى خزندار: "**انه بلغنا دخول الفئة المقرانية وأولاد يلس في دائرة دولتكم...فالمأمول من الجناب السامي تصديق ظنهم والاعتناء بشأنهم**"[1].

فلو كان الأمير ضد ثورة المقراني كما أشيع لما طلب من الدولة التونسية تقديم المساعدة لهم بعد التجائهم إلى هناك، وهذا حسب رأينا يعني بأن معارضته لمشاركة ابنه في الثورة لا تعني بالضرورة معارضته لباقي الثوار في الجزائر.

ب- من الأسباب التي يمكن أن نوردها والتي يراها المؤرخون السبب الأبرز في اعتقادهم هو الضغط الذي كان من الفرنسيين على الأمير عبد القادر، خاصة بالنظر إلى العلاقات التي جمعته مع الفرنسيين، ويضاف إلى ذلك تخوفه من فشل ابنه وفقدانه في الأخير[2].

لعل هذين السببين هما الأبرز والأكثر منطقية مع أننا لا يمكن أن نجزم بهما مهما كان لدينا من إطلاع ومهما توفرت من مادة ووثائق، فالبحث والتمحيص والتحليل يبقى مستمراً مع كل وثائق جديدة قد تظهر.

(1)- بوعزيز، موقف بايات تونس....، مرجع سابق، ص25.

(2)- بوعزيز، وثائق جديدة عن محي الدين....، مرجع سابق، ص32.

الفصل الثالث

الاهتمامات التربوية والروحية والفكرية للأمير عبد القادر

المبحث الأول: اهتمام الأمير بالجانب العلمي.

المبحث الثاني: الجانب الروحي للأمير عبد القادر.

المبحث الثالث: قراءات في مؤلفات الأمير النثرية.

المبحث الرابع: اهتمامات الأمير الشعرية.

المبحث الأول: اهتمام الأمير بالجانب العلمي.

المطلب الأول: في تركيا وبلاد الشام

1- اهتمام الأمير بالعلم أثناء أسره بفرنسا.

عندما وجد الأمير نفسه في سجون فرنسا(قصر أمبواز)، لا حيلة له ولا عمل يشغل به نفسه استغل المدة التي قضاها هناك وتفرغ للتأمل والدراسة وتعليم أفراد أهله، كما كانت له حوارات عديدة مع الرائد بواسوني وكبير القساوسة دوبوش، للإطلاع على دين وتاريخ من احتلوا بلده، وكان يطلب أن تقرأ له الصحف وتترجم حتى يكون على علم بكل ما يجري في العالم[1].

فكان يزوره العلماء ورجال الدين من مختلف الديانات والمذاهب، إضافة إلى كبار الضباط الذين كانوا أسرى عنده أثناء جهاده[2]، وقام بتحويل السجن الذي وضع فيه إلى مكان للدراسة، وداوم مدة خمس سنوات على التدريس والإفاضة والبيان والتثبيت لإفادة خاصته، البالغين نحو ثمانين فرداً وبهذا وجد عزائه بين الكتب والعلوم والعبادة، ووضع لنفسه وأتباعه نظاماً مضبوطاً وموزعاً بدقة[3]

وقد استطاع الأمير خلال هذه الفترة أن يقرأ السنوسية في التوحيد، وقرأ على أصحابه أكثر مدونات الفقه المالكي شهرة بالمغرب عامة وهي رسالة الإمام ابن أبى زيد القيرواني، كما قرأ على رفاقه صحيح البخاري وكتاب الشفا للإمام عياض[4].

استغل الأمير الوقت الطويل الذي كان يقضيه في السجن في الكتابة والتأليف، فاستجاب لطلب جمعية الدراسات الأسيوية بباريس وقام بكتابة مقال بعنوان "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" المعروف بـ (lettre aux français)، وإن كانت هذه الفترة غنية بالكتابة، فإنها كانت أيضا غنية

---

(1)- بوزيد، مرجع سابق، ص 227.

(2)- محمد الطاهر عزوي، تصوف الأمير عبد القادر، ملتقى الجزائر 29 يونيو- 21 يوليو 1998م، منشورات وزارة الثقافة الجزائر د ت، ص92.

(3)- بن السبع، مرجع سابق، ص 51.

(4)- بركات، مرجع سابق، ص51-52.

بالمطالعات، وإن كان الأمير عانى كثيراً في البداية إلا أنه استطاع في الأخير الحصول على عدد من الكتب التي طلبها من الغرب والمشرق[1].

اعتبر المؤلف الذي كتبه الأمير أشبه ما يكون بالمنشور الثوري ضد ديكتاتورية فيليب الثاني الذي منع الناس من البوح بآرائهم، وأيقنت فرنسا أنها أمام رجل عظيم لا تجدي معه الدسائس والمؤامرات، وتفاجأت به رجل قلم وفكر في فرنسا ذاتها، بعد أن عرفته رجل سيف وحرب، مما جلب إليه العلماء في منفاه بفرنسا وطلاب المعرفة، وكثرت محاوراته ومراسلاته واستطاع بذلك أن يسبق غيره بفتح عصر المناظرات والمجادلات العلمية بين المسلمين وأهل الدينات الأخرى[2].

إلى جانب هذه المحاورات نظم كثيراً من قصائده الشعرية التي جادت بها نفسه الأسيرة في معتقله بأمبواز وخاصة قصائد الشكوى والحنين إلى جانب بعض المقطوعات أو المساجلات الشعرية في سبيل التفكه والشكر كالتي كانت بينه وبين الشاذلي القسنطيني[3].

من خلال ما سبق نلاحظ أن هذه المرحلة الصعبة التي عاشها الأمير في السجن، ورغم ما كان يعانيه هو وعائلته وأصحابه، إلا أنه كان يعرف كيف يستغل الوقت الطويل الذي قضاه هناك فانصرف إلى العلم والتدريس والكتابة والمطالعة، حتى لا يكون بعيداً عن الأحداث الكبرى في العالم وحتى يكون أولاده من أهل العلم والمعرفة، فكان يخصص لهم وقتاً كافياً ليدرسهم مختلف العلوم الدينية والعقلية.

2- الأمير العالم في تركيا.

بعد مرور خمس سنوات من وجود الأمير في فرنسا، سمح له بالمغادرة إلى القسطنطينية، حتى لا يجد نفسه في بلد غريب عنه، أين أصبح الأمير متفرغا كلياً للعلم والدراسة والبحث، خاصة بعد أن اطمأن على عائلته وأتباعه.

(1)- بوزيد، مرجع سابق، ص228.

(2)- بن السبع، مرجع سابق، ص52.

(3)- نفسه، ص 52.

وجه الأمير اهتمامه على الكتب، فعمد إلى إغناء مكتبته بالكتب المختلفة فكان يطلب العديد من والإصدارات الجديدة[1] وكان يقبل على العبادة و العلم وإفادة الناس بعلمه الغزير ومعارفه الكثيرة والمختلفة[2].

قام الأمير ببعض الجولات للمساجد والمدارس، ليعطي فيها دروساً ويتناقش مع المسلمين، فقرأ حينئذ ألفية ابن مالك بشرح المكودي، والإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز[3]، كما كان يكثر من الصدقات ويكرم المحتاجين، فأخذ العلماء وأصحاب الحاجة يقصدونه من كافة بلاد العالم الإسلامي، منهم الشيخ بدر الدين المغربي العلامة الشهير[4].

قضى الأمير في تركيا مدة عامين كان معظمها بين الكتب والمدارس والجوامع، قضاها في طلب العلم والمعرفة، والقيام بأعمال البر والخير، فكان كثير الاهتمام بمساعدة العلماء وطلاب العلم المحتاجين والراغبين في الاستزادة بمختلف العلوم التي كان يزخر بها، والتي اكتسبها من مطالعاته الكثيرة لمختلف المؤلفات والمخطوطات المهمة.

3-الأمير العالم في دمشق.

تفرغ الأمير تفرغاً يكاد يكون كليا للعكوف على العملية التعليمية دراسة وتدريساً، قراءتاً وتأليفاً عبادتاً وتصوفاً، بدءاً من انتقاله إلى الشام وإقامته فيها إلى وفاته (1855م- 1883م).[5]

ما إن وصل الأمير إلى دمشق حتى احتضنه العلماء والمفكرين الدمشقيين، أين بدأ يعقد الندوات ويقوم بالدراسات الفقهية والدينية في الجامع الأموي ويرفع المظالم عن المضطهدين[6] فكان

---

(1)- آتيين، مرجع سابق، ص280.

(2)- سعيدوني، مرجع سابق، ص 174.

(3)- بركات، مرجع سابق، ص25.

(4)- الصلابي، مرجع سابق، ص279.

(5)- محمد ابن سمينة،" **الأمير عبد القادر الرائد في الذكرى المئوية الثانية لميلاده (1807م-2007م)**"، مجلة المصادر المركز الوطني للدراسات والبحث، ع 17، السداسي الأول ، الجزائر2008م، ص 235.

(6)- بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق....، مرجع سابق، ص40.

يجتمع عليه علماء وأعيان دمشق، لطلب العلم فمما قاله فيه الشيخ عبد الرزاق البيطار[1] وهو يخاطبه يوما: "**نحن أهل دمشق بعد أن أنعم الله علينا نعم عظيمة وكثيرة في هذه البلدة ،قد زادنا جلت عظمته من فضله أن يجعل إقامتك فيها، فأفدنا من علومك ومعارفك**"، وكان بيت الأمير في دمشق مركز اجتماع أعيانها لمناقشة المسائل الهامة، وكانت له جلسة خاصة مع كبارهم يفسر فيها الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال السلف الصالح على طريقته الخاصة التي أعجب بها الكثيرون فسجل آراءه في كتاب سماه "المواقف"[2].

عكف الأمير على القراءة والكتابة في عدة حقول، فكان لذلك تأثيراته الكبيرة على استعداداته الشعورية، وملكاته الفكرية، وتطبيقاته العملية، وقراءاته وكتاباته، وتفرغه للعبادة.[3]

قرأ الأمير على يد الكثير من الشيوخ علوم دينية عديدة منها: التفسير، الحديث، الفقه، التوحيد التصوف، المنطق، الفلسفة الإسلامية، الفلسفة اليونانية، الطب، النحو، الأدب، التاريخ، الجغرافيا الفلك، الحساب وغيرها...، كما اطلع على كتاب التوراة والإنجيل كتابا الديانتين اليهودية والنصرانية.[4]

توالت اللقاءات والاجتماعات بين الأمير والعلماء في داره، حيث كانوا يتحاورون من أجل إيجاد السبل الأفضل لإصلاح المجتمع الذي كانت تشوبه أوضاع مزرية أثناء العهد العثماني في

---

(1)- وهو الشيخ عبد الرزاق بن الحسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (1253 هـ-1335هـ/1837م-1916) عالم ، أديب ومؤرخ شاعر ، تفرد في الغزل والوصف ، وكان مرجعا في الموسيقى العربية، ولد وتوفي في دمشق، لازم الأمير عبد القادر وأخذ عنه الفصل بالعدل ومن آثاره: "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، في ثلاثة أجزاء ذكر فيه مشاهير الرجال و"السنة في العمل بالكتاب والسنة"و"المباحث والغرر في حكم الصور".راجع: فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المرجع السابق ص 70.و كتاب: خير الدين الزركلي، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج4، دار العلم للملايين، بيروت 1970م، ص125.

(2)- أباظة، مرجع سابق، ص32.

(3)- ابن سمينة، المرجع السابق، ص238.

(4) - نفسه، ص236-237.

بلاد الشام، بسبب انتشار الجهل والانحطاط وفساد الأخلاق، لذلك أخذ الأمير مع العلماء مسؤولية التوعية، فقام الأمير بفرض زكاة الأموال على الأغنياء كما فرض على العلماء زكاة علومهم.[1]

كان لهذه القراءات والمراجعات المتعددة والكتب المتنوعة والاتصالات المختلفة بالشخصيات والعلماء والفقهاء وغيرهم، وما تخلل ذلك من الاحتكاك وأسلوب الحوار وتبادل الآراء وتعدد الأفكار التأثير الفاعل على الجانب العلمي في شخصية الأمير عن طريق توسيع أفق ثقافته وتعميق دائرة مدركاته وتنوع مجالات معارفه وتطوير خبراته وتجاربه المختلفة .

درس الأمير في أماكن مختلفة، فتارة في المدرسة الاشرفية التي تدعى دار الحديث النووية وأخرى بالمدرسة الجقمقية، وطورا بالجامع الأموي، وفي زاوية أبى النصر في بيروت، أما بعد رجوعه من رحلته الحجازية 1864م، فقد بدأ التدريس في منزله.[2]

ومن أبلغ ما شغل الأمير خلال إقامته في دمشق تحقيق الكتب العلمية والأدبية ففي سنة 1288هـ/1871م، أرسل الأمير نسخة من الفتوحات المكية مع عالمين جليلين إلى قونية[3] (Konya) لمقابلتها وتصحيحها طبقا للنسخة الأصلية الموجودة هناك بخط مؤلفها ابن عربي.

كان للأمير دور كبير في بناء المساجد والمدارس والزوايا وتشجيع الأطفال للالتحاق بها، فكان الأهالي يرسلون أولادهم لتلقي شروح للقرآن الكريم بدل الدراسة عند المبشرين، فأقام حلقات تدريس

---

(1) - عدنان مبارك، الأمير عبد القادر الجزائري مع العلماء والشخصيات والأعيان والوجهاء في بلاد الشام، ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، المنعقد يومي 22- 23 نوفمبر 2000، مؤسسة الأمير عبد القادر، وزارة الثقافة، تلمسان، ص 33-34.

(2)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق....، مرجع سابق، ص298-297.

(3)- هي مدينة في وسط تركية الآسيوية، عندها هزم إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الجيش العثماني عام 1255هـ/1839م وهي الآن عبارة عن أثار وأنقاض.

في مختلف الأماكن، كما رمم العديد من المدارس والزوايا كزاوية الضمادية التي حولها إلى مدرسة قرآنية بعد أن كانت مخزن للتبن[1].

نلاحظ أن الأمير في دمشق كان متفرغ للصلاة والذكر والتأمل والعلم والتدريس سواء في الجامع الأموي أو دار الحديث وحتى في بيته وبعض الزوايا أين كان يلقي دروساً في القرآن والفقه والعلوم والحديث إضافة إلى العلوم العقلية.

المطلب الثاني: المدارس التي درس بها الأمير.

1- دار الحديث الاشرفية:

المدرسة الاشرفية[2] المشهورة بدار الحديث النووية بناها الملك لأشرف موسى بن العادل في دمشق افتتحت في القرن السابع للهجري، درس بها العديد من العلماء، تعرضت سنة 1330هـ /1912م لحريق أتلف معظمها، ثم رممت بعد ذلك ترميما خفيفا، بدأ نشاطها يضعف شيئاً فشيئاً فتحولت إلى مساكن لبعض الشيوخ ثم بيعت لشخص رومي، تعدى على المدرسة والزاوية الغربية وحولها إلى مستودع لوضع براميل الخمر[3]، فقام عليه العلامة يوسف بدر الدين المغربي ورفع أمره إلى الحكومة المحلية فلم تسمع دعواه، فتوجه إلى الأستانة واحضر فرماناً سلطانياً وقدمه إلى والي دمشق الذي أهمله، فبقي الأمر كذلك حتى جاء الأمير إلى الأستانة من فرنسا فاجتمع به الشيخ يوسف وشكا له أمره، ولما بلغ الأمر الأمير، أحضر الرومي "يانكو"عنده واشتراها منه، ثم أوقفها

(1)- نصيرة حناش، فاطمة الزهراء رالم أحمد، النهضة التعليمية والثقافية في بلاد الشام ومساهمة الجزائريين فيها من 1831م /1914م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشراف: فتاتة ميلود، قسم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، 2014-2015م، ص88-89.

(2)- تقع بجوار باب القلعة الشرقي، غرب العصرونية وشمالي القيمازية الحنفية، وقد كانت دار الحديث الاشرفية دار صارم الدين قايماز وله بها حمام فاشترى ذلك، الملك لأشرف مظفر الدين موسى بن العادل وبناها دار حديث، وجهز سكنا للشيخ المدرس بها وجعل من الشيخ تقي الدين بن الصلاح شيخها، فتحت الدار في النصف من شعبان سنة ثلاثين وستمائة وأملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث ووقف عليها الملك الأوقاف.انظر: عبد القادر النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، إع وتق: عمار محمد النهار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق2014م ص 43.

(3)- بن عوف، مرجع سابق، ص 142.

بموجب حجة شرعية على الشيخ يوسف وعلى عقبه من بعد، ثم أمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته وافتتح بها التدريس بعد الانتهاء من إصلاحها.[1]

بعد أن قام الأمير باسترجاع الدار من الرومي، جعل المدرسة مسجداً لتعليم القرآن والفقه والحديث، بحيث كان من المدرسين الأساسين فيها، فأوقفها للعلم والصلاة وخصص من ماله الخاص نفقة شهرية للتدريس والتعليم.[2]

أصبح الأمير يلقي العديد من دروس القرآن والفقه والحديث النبوي، وكان يعتمد في تدريسه على كتب الحديث والفقه مثل كتب الإمام مالك وصحيحي البخاري ومسلم، وكذلك الكتب العلمية.

2- المدرسة الجقمقية[3].

هي من مدارس الحنفية وتقع[4] شمالي الجامع الأموي بدمشق، والجقمقية نسبة إلى سيف الدين جقمق وأصلها تربة أسسها المعلم سنجر الهلالي، ثم انتزعها منه الملك الناصر وأمر ببنائها سنة 761هـ إلا أنه مات قبل إتمام العمل، ولما تولى سيف الدين جقمق نيابة دمشق سنة 822هـ أتم بنائها ثم أضاف إليها مدرسة للأيتام، أصبحت في عهد الأمير عبد القادر مدرسة للذكور[5].

أصبح الأمير عبد القادر معلماً فيها حيث كان يختار لها مجموعة من النصوص الفلسفية مثل أرسطو وأفلاطون لتدعيم حلقته الدراسية.

---

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر.....،ج2، مصدر سابق، ص 76-77.

(2)- بن عوف، مرجع سابق، ص 142.

(3)- بنيت المدرسة في البدء كتربة من قبل المعلم سنجر الهلالي (كانت تسمى دار القران الهلالية) صادرها الملك الناصر حسن 761هـ ، وبنى فوقها مكتبا للأيتام، وبعد مقتله عام 772هـ، تحولت إلى خانقاه (مدرسة) للصوفية، تعرضت للحرق في استباحة تيمورلنك لدمشق 803هـ-1400م، ثم أمر الأمير سيف الدين جقمق بإعادة بناء أنقاض المدرسة المهدومة عام 823هـ- 1420م بعد أن استولى عليها لتكون خانقاه وتربة لوالدته لكن بناءها لم يكتمل إلا سنة 824هـ 1421م، ثم تحولت عام 1338هـ/1919م لمقر حلقة المولوية الدينية وتعليم الأطفال القرآن الكريم، إلى أن أصيبت بقنبلة أثناء الحرب العالمية الثانية 1941م، ثم رممت في 1972م وحولت إلى متحف للخط العربي، من طرف المديرية العامة للآثار والمتاحف، للإطلاع راجع: عبد القادر النعيمي الدمشقي الدارس في تاريخ المدارس، مرجع سابق، ص101-102-103.

(4)- تقع في منطقة الكلاسة بدمشق القديمة قرب مقام صلاح الدين الأيوبي، من جهة الشمال خانقاه، يفصل بينهما الطريق الآخذ إلى المدرستين الظاهرية والعادلية من جهة الغرب.راجع: عبد القادر النعيمي، مرجع سابق، ص101.

(5)- صالح السيد، الأمير عبد القادر في دمشق....، مرجع سابق، ص298.

المبحث الثاني: الجانب الروحي للأمير عبد القادر.

المطلب الأول: تصوف الأمير عبد القادر.

1-أسباب وعوامل تصوف الأمير:

أ- **تعريف التصوف:** لابد في البداية أن نقدم مفهوم التصوف عند المتصوفين المسلمين، فمن الواضح أن التصوف الإسلامي لا يمكن حصره بتعريف واحد جامع شامل وأن المتصوفين لم يعرفوا التصوف إلا من خلال أحوالهم ومجاهدتهم التي عايشوها واختبروها، وقد بلغت هذه التعاريف من الكثرة العددية حتى قال أحد الشيوخ المتصوفين أن التصوف قد:"حدد ورسم وفسر بوجوه تبلغ الألفين، مرجع كلها أن التصوف صدق التوجه إلى الله بما يرضاه من حيث يرضاه"[1].

يعرف الأمير التصوف بأنه :"جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله، وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء أخر غير سبيل الله"[2] ويوجه الأمير تحذيره إلى الصوفي الذي يجاهد نفسه بالرياضات الشاقة، لأجل طلب الجاه عند الملوك، أو لصرف وجوه العامة إليه، أو حصول غنى أو غير ذلك من الحظوة النفسية[3].

ما يميز الأمير في تصوفه أنه مع تقديره واعترافه بضرورة الشيخ في الطريق الصوفي إلا أنه في الوقت نفسه يحذر من أي تقليد سواء تقليد الرجال أو تقليد الكتب ولا يرضى إلا باجتياز التجربة الروحية والمجاهدة [4].

---

(1) - صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص114.

(2) - عبد الوهاب بلغراس،" **هل يعتبر الأمير عبد القادر مجددا فلسفيا وصوفيا**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المركز الوطني للبحث في الانتربولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، ع05، ديسمبر 2010م، ص142.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، المرجع السابق، ص115.

(4)- بلغراس، مرجع سابق، ص142.

تصوف الأمير أقرب إلى تصوف أبى حامد الغزالي منه إلى غيره من المتصوفة، فهو بقي سنياً مالكياً محافظاً على دينه منصاعاً لأوامره ونواهيه، فالتصوف عند الأمير نابع من الدين ولا يتطرق إليه ويسعى وراء حقيقته إلا الخاصة من الناس، ولا يوفق منهم إلا الصالحون وذلك بعد اجتياز مراحل ومواقف من شأنها أن تهيئ المزيد من العلم الصوفي [1].

ب- عوامل تصوف الأمير:

هناك مجموعة من العوامل والأسباب التي جعلت الأمير يسلك طريق المتصوفين، نذكر منها:

- ✓ يذكر الباحث نور الدين صدار في مقال له نقلا عن "بيير بوردي" إن الرؤية الصوفية عند الأمير تستمد وجودها من اللاوعي الثقافي، وذلك أن تحليل الحقل الثقافي الذي نشأ فيه الأمير في مظاهره العامة والخاصة من شأنه أن يقدم لنا تفسيراً مقبولاً لمكونات الرؤية الصوفية، فالتصوف عند الأمير ليس مكوناً طارئاً أو جديداً إنما هو مكون مستمد من أعماق الأسرة والمجتمع الذي نشأ فيه عبد القادر[2]، فقد مال منذ صغره ميلاً داخلياً للتصوف وزاده على ذلك ميل عائلته للتصوف وعلى رأسها والده الذي كان صوفيا من أتباع القادرية[3]، تربى الأمير في جو تربوي ديني فهو ابن الزوايا والطرق، ونشأ في مدرسة الزاوية التي أنشأها والده حيث تلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية فيه[4] .
- ✓ من منطلق النسب الشريف، أخذ منابع تصوفه من القران والسنة، ثم من كتب القوم المتصوفة، ويقول: "**كنت مغرماً بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم منذ الصبا غير**

---

(1)- عبد القادر بن حراث، جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية، دط، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر دت ص12.

(2)- نور الدين صدار، "**البطولة الإنسان والتصوف تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر** "**مقارنة بنيوية تكوينية**" مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 37،ع 2، الجزائر 2010م، ص380.

(3)- عائشة بن ساعد، "**البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدون، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر2003-2004م ص 84.

(4)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا...، المرجع السابق، ص120.

سالك طريقهم، فكنت أثناء المطالعة حين أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم من مرادهم لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة"[1]، فتربى على قراءة ومطالعة كتب المتصوفة، مثل كتاب والده "إرشاد المريدين" ومنظومة جده، ولذلك تأثر بمجموعة من المتصوفة خاصة بعد استقراره بدمشق، ومطالعة كتب الشيخ الأكبر[2]، فكان يأخذ ما يراه نافعاً مهماً ويبتعد عن ما يراه خاطئاً وخروجاً عن المعقول. ونلاحظ كذلك أنه نشأ على التقوى والإيمان وحب المشايخ وكبار القوم والصالحين، والإقتداء بهم والعمل بعملهم، ولذلك كانت نشأته صوفية من البداية.

- ✓ تأثر الأمير بفكر الشيخ عبد القادر الجيلاني[3]، فأسلافه كانوا شيوخا للطريقة، ومما زاد من تأثره رحلته الدينية التي كانت برهاناً على التدين الكبير والمفرط، هذه الرحلة التي توقف فيها في بغداد لزيارة قبر عبد القادر الجيلاني أين أخذ عنه الطريقة ونشرها فيما بعد في الجزائر[4].
- ✓ كما تأثر بابن عربي الذي ذهب مذهبه في التصوف، حيث أقبل على قراءة كتبه وتفسيرها ومن هذه القراءات والتفسيرات كان كتاب "المواقف" [5]، الذي فسر فيه أيضا

---

(1)- الأمير عبد القادر الجزائري، كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تح: عبد الباقي مفتاح، ج1، ط1 دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر 2005م، ص46.

(2)- بن ساعد، مرجع سابق، ص85.

(3)- هو محي الدين أو عبد القادر الجيلاني، ولد في جيلان بقرية نيف قرب بغداد (476هـ/1079م) من أصول شريفة وأبوين فقيرين، أخذ في بغداد العلم الظاهر، برع في جميع العلوم، حتى كان يجيد المناظرة توفي في ربيع الثاني 561هـ/11 فيفري 1166م، دفن بمدرسة بغداد، ترك مصنفات منها: لغة العارفين وغاية منى الواصلين.راجع كتاب: البيطار، حلية البشر،ج2، مصدر سابق، ص918.

(4)- صدار، مرجع سابق، ص380.

(5)- يشمل اثنتين وسبعين وثلاثمائة (372) موقف، موضوعه التصوف والفكرة الصوفية وفيه مباحث صوفية وتفسير آيات قرآنية، وشرح أحاديث نبوية وبسط للعقيدة الإسلامية، ألف الأمير هذا الكتاب في المرحلة الثالثة من حياته عند استقراره في دمشق. للمزيد راجع المبحث الثالث من الفصل الثالث: قراءات في مؤلفات الأمير .

من مذهب ابن عربي وكلامه من كتابي الفصوص والفتوحات المكية[1]، فبعد أن استقر بدمشق انشغل بالبث في تراثه، فقد أرسل الطيب الجزائري المالكي إلى مدينة قونية لمراجعة كتاب "الفتوحات المكية" على خط مؤلفها العارف بالله الشيخ محي الدين ابن عربي وقرأها مع الشيخ المذكور وبعد مجيئها التزموا بإصلاح نسخهم على النسخة المقابلة بخط المؤلف[2]، ففي المرحلة الأخيرة من حياة الأمير عمد إلى تفسير الكثير من مذهب العالم، ووصفه بأنه إمام العالمين بالله تعالى وبرسله[3].

- ✓ كما تأثر الأمير بأبي حامد الغزالي أيضا فاعتبره مرجعاً صوفياً له، ودرس كتابه "الإحياء" ونقل عنه ودافع عليه، وتمظهر بمظهره في كتابه "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل "في بيانه لأقسام العلم، فتصوف الأمير كان قريباً من تصوف الغزالي[4].

من خلال هذه العوامل نلاحظ أن جذور الميول الصوفية عند الأمير، تعود إلى وقت مبكر من حياته، وتبدأ من أيام طفولته وشبابه ونشأته وتربيته على يدي والده العالم الصوفي، والى عهد تلمذته على أيدي بعض الشيوخ من المتصوفة، ولقاءاته وحواراته مع بعض الشخصيات، أثناء رحلاته في بعض البلدان التي حل بها وإلى خلوته في الحجاز.

2- مراحل تصوف الأمير منذ 1848م.

لقد مر تصوف الأمير بمراحل تاريخية توازي في نموها وتصاعدها المراحل التاريخية لسيرة حياته الذاتية، وهذا التقسيم إنما جاء لبيان الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية التي عملت في تكوين كل مرحلة من مراحل تصوفه التاريخية وتطويرها، وهذه المراحل قسمها

(1)- صدار، مرجع سابق، ص 380.

(2)- محمد بن عبد الله المقدي، التصوف بين التمكين والمواجهة، ص94-95.

(3)- عمار طالبي، "**الأمير عبد القادر والتصوف**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، س 13،ع: 75 رجب/شعبان 1403هـ- ماي/جوان 1983م، الجزائر 2009م، ص 288.

(4)- صدار، مرجع سابق، ص380.

بعض المؤرخين لثلاث مراحل وآخرون قسموها لأربع مراحل، لذلك سنذكر المراحل الأربعة مع التفصيل فيما يتعلق بالمرحلتين الثالثة والرابعة لأنهما ما يهم في البحث.

حاول الباحث فؤاد صالح السيد أن يقسم حياة الأمير الصوفية إلى أربع مراحل نذكرها:

- ✓ مرحلة التلقين والتعليم والمطالعة (1222هـ- 1246هـ/1807م- 1830 م).
- ✓ مرحلة الفتوة والمرابطية (1246هـ- 1265هـ/1830م- 1848م).
- ✓ مرحلة التأمل والتفكير (1246هـ- 1269هـ/1848م- 1852م).
- ✓ مرحلة النضج والتعبير (1269هـ- 1300هـ/1853م- 1883م)[1].

أ- **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة الطفولة والشباب حيث كان مرافقاً لوالده الشيخ محيي الدين، وأثناء رحلته للحج زار العراق والشام، وتعرف على الطرق الصوفية خاصة القادرية[2] التي تلقاها ببغداد عن الشيخ الكيلاني القادري والنقشبندية[3]، عن الشيخ خالد النقشبندي[4] بعد ذلك رجع إلى الجزائر فأنشأ مراكز في القرى وبين القبائل لنشر الطريقة القادرية، وكان هؤلاء هم الذين غذوا حركة الجهاد التي قام بها الأمير بعد ذلك[5].

---

(1)- صالح السيد، مرجع سابق، ص133،132،129،126.

(2)- هو تنظيم سيدي عبد القادر الجيلاني الذي اتسع صيته في كل بلاد الإسلام، تدعوا الطريقة إلى بعد إنساني يمتاز بروح التسامح مع النصارى واليهود، أخذها الأمير عبد القادر في بغداد على يد نقيب الأشراف شيخ سجادة القادرية السيد محمود الكيلاني القادري، وقد قام محي الدين وابنه بنشر الطريقة القادرية بعد رجوعهما من زيارتهما من المشرق، فكان لها مريدين ودعاة في مناطق واسعة من الجزائر، أصبحوا فيما بعد دعائم الحركة الجهادية التي قادها الأمير، انظر: نور الدين صدار، مرجع سابق، ص379.

(3)- من الطرق الصوفية أسسها محمد بن محمد بهاء الدين البخاري في بلاد فارس تمتاز بأسلوب خاص في الذكر ولها فروع في تركستان وفازان وتركيا، أخذها الأمير في مدينة دمشق عن الإمام البهاء ضياء الدين مولانا الشيخ خالد النقشبندي الشهرودي، إذ كان الأمير يكثر التردد إليه ليسمع منه علوم شتى في التوحيد والتصوف. للإطلاع راجع: محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، دط، دار الشفقة، تركيا 2002م.

(4)- بلغراس، مرجع سابق، ص143.

(5)- اباضة، مرجع سابق، ص28-29.

ب- **المرحلة الثانية:** هي المرحلة التي تمظهر فيها التصوف عند الأمير من خلال روح القدوة والمرابطية والجهاد[1]، فقد ارتبطت هذه المرحلة بمقاومته وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي ومحاربة الظلم[2].

ت- **المرحلة الثالثة:** جاءت هذه المرحلة عقب أسره في السجن، أين هيمن عليه اليأس والتعاسة، وكان في نفس الوقت متمسكاً بالصبر، وأشار الأمير لهذه المرحلة التي سماها "الخلوة" في الموقف الحادي عشر بعد المائتين من كتاب المواقف، وصور حالته النفسية التعيسة وما كان يعانيه من الأزمات والضيق، واعتبر هذا ابتلاء من الله[3] وفيها بدأ الأمير الصوفي المتأمل المفكر: "**دخلت مرة خلوة فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت علي الأرجاء و فقدت قلبي، وإذا المعرفة فكرة والأنس وحشة والمطايبة مشاغبة والمسامرة مناكرة، فكان نهاري ليلاً وليلي ويحاً وويلاً ...وأي قربة أردتها أبعدت عنها فلم يبق معي من أنواع الصلات إلا الصلاة فكان هذا ابتلاء**"[4]، وفي هذه المرحلة كان لجوء الأمير لله عز وجل، اقتنع فيها أن الذل لابد أن يكون لله وحده بالصلاة والخضوع في هذه المرحلة التقى بمحمد الشاذلي القسنطيني، فيبدوا أن الأمير تتلمذ على يده وتلقى مبادئ الطريقة الشاذلية[5] وأصولها[6]، وهكذا كانت هذه الخلوة فرصة للتأمل والتفكير الهادئ العميق، فكان يقضي أوقاته في الذكر والصلاة والدعاء، وتعتبر هذه المرحلة

(1)- صدار، مرجع سابق،ص381.

(2)- بالغراس، المرجع السابق، ص143.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا..، المرجع السابق، ص132.

(4)- الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف، ج1، مصدر سابق، ص211.

(5)- تأسست هذه الطريقة في النصف الأول من ق15م، وهي أول الطرق التي أدخلت التصوف لبلاد المغرب، ويعود تأسيسها إلى الحسن على بن عطاء الله بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتقي الدين، (593هـ-1196م) أو (656هـ-1258م)، الشاذلية قرب جبل فزان أو في غمارة قرب سبته، ويعود التأسيس الفعلي للطريقة إلى أبى القاسم الجنيدي الذي تأثر بالشيخ اخو شعيب أبو مدين الأندلسي، وعلى يد الشيخ عبد السلام بن مشيش حيث يرجع منبع الشاذلية إلى هؤلاء العلماء الثلاثة. للإطلاع راجع: صالح السيد الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص74. وراجع مجلة الثقافة، ع 75، ص302.

(6)- بن ساعد، مرجع سابق، ص88-89.

بالنسبة للأمير أهم مرحلة وتجربة يقطعها في مشواره الصوفي والحياتي حيث هي إعداد واستعداد للمرحلة الكبرى التي سيصل فيها إلى ذروة التصوف والعرفان، كما أن هذه المرحلة عرفت إنتاجاً فكرياً غزيراً واكتشافات ومحاورات للفرنسيين والأوروبيين المسيحيين[1].

ث- **المرحلة الرابعة:** وهي مرحلة التحقق والفتح الكبير، ومن المعروف عند أهل التربية الروحية أن معرفة العبد نفسه ليعرف ربه لا تتحقق إلا بالسلوك على يدي الشيخ المربي الوارث الكامل، وذكر الاسم المفرد الأعظم "**الله**" وتطلعت همة الأمير لذلك إلى أن حصل على مقصوده في مكة المكرمة[2]، حيث غادر دمشق في أول رجب 1279هـ /كانون الأول 1862م، متوجها إلى الحجاز وخلال اثنتي عشر شهراً من 1279هـ-1280هـ/1862م-1863م، التي قضاها في مكة لم يغادر الأمير حجرته إلا للذهاب إلى الجامع الكبير، فقد خصص كل وقته للدراسات الدينية والتعبد والصلاة[3]، وقد جاءه الكشف المبين والتقى بالشيوخ الكبار في التصوف منهم الشيخ الفاسي، الذي اختلى به في مكة[4]، وتتلمذ عليه وشرب عنه الطريقة ولازم الرياضة والاجتهاد، وعكف على ما في تلك الطريقة من الأذكار والأوراد[5]، إلى أن ارتقى في معارج الأسرار الإلهية وقد أشار الأمير إلى هذا الفتح الرباني في الموقف الأول من مواقفه، وكتب لأستاذه قصيدة طويلة يصف فيها بداية ونهاية رحلته الصوفية[6].

(1)- بلغراس، مرجع سابق، ص143.

(2)- بوزيد، مرجع سابق، ص88.

(3)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص 73.

(4)- بلغراس، مرجع سابق، ص 143.

(5)- رابح بونار، الأمير عبد القادر الرجل، مساره ومؤلفاته، دط، وزارة الثقافة ، تلمسان 2011م، ص 95.

(6)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص 134.

ازدادت النزعة الصوفية عند الأمير عمقاً في وجدانه، وازدادت رسوخاً في سلوكه أيام إقامته الطويلة بدمشق واحتكاكه بالمتصوفة من أتباع الشيخ ابن عربي، وبعض المتصوفة والمريدين وشيوخ الطرق.[1]

هذه هي المراحل الأربع من تصوف الأمير كان انتقالها من البدايات الأولى لنشأته وتدرجت بمراحل وصولا إلى المرحلة الأخيرة من حياته التي حصل له فيها الفتح الكبير.

المطلب الثاني: الأمير الإنساني.

عرف عبد القادر بطابعه الإنساني الكبير، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التاريخية المتنوعة لم تتناول هذا الجانب في سيرة الأمير كما يجب، لذلك اضطر بعض المؤلفين للرجوع إلى المصادر الأجنبية من أجل الوصول إلى تفسيرات حول هذا الجانب[2].

من المؤلفين الأجانب والفرنسيين وخاصة المدنيين والعسكريين والقساوسة، وكذلك شهادات من اتصلوا بالأمير وعاشروه وصوروا لنا الجانب الإنساني من حياته، نجد "ليون روش" في كتابه "اثنتان وثلاثون سنة عبر الإسلام"، يصور في كتابه إحدى مشاهد الأمير الرجل المتواضع المتقشف البار بوالدته[3]، فيروي الجنرال دوماس الذي كان يعرف الأمير معرفة وثيقة منذ 1847م أثناء أسره بفرنسا فيقول: "**أنه دخل على الأمير الذي كان جالسا في غرفته في يوم بارد من أيام شتاء فرنسا بقصر أمبواز دون تدفئة فتعجب الجنرال واستفسر الأمير الذي أجابه: إن الحطب الذي أعطي لي قد نفذ البارحة، ورغم أنني أعلم أن بعض رفاقي لازال عندهم حطب، أحجمت عن الطلب منهم مساكين والله، عوض أن أنزع منهم شيئاً، كم أتمنى أن أرفه عنهم، وأوفر لهم كل ما ينقصهم**"[4].

ينقصهم"[4].

(1)- ابن سمينة، مرجع سابق، ص239.

(2)- صدار، مرجع سابق، ص 377.

(3)- محمود بوعياد، "**عبد القادر الإنسان**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، س 13،ع 75، رجب – شعبان 1403هـ/ ماي–جوان 1983م، الجزائر، ص311.

(4)- نفسه، ص 314.

من خلال هذا الموقف نلاحظ أن الأمير كان حريص جداً في تعامله مع رفاقه وأصدقائه لدرجة أنه لا يستطيع أن يطلب منهم شيئا، مهما كان نوعه أو بساطته فلطالما كان يتأسف من الحال الذي وصلوا إليه، فكان يلوم نفسه على حالتهم أثناء السجن، ولذلك سعى دائما إلى توفير ما يحتاجونه بكل الوسائل، وهو ما يصور لنا الجانب الإنساني عند الأمير والذي لابد أن نربطه بظروف بيئته ونشأته وجهاده وتصوفه، فكل هذه الجوانب ساهمت في صناعة الأمير الإنساني.

من أسمى مواقف الأمير التي تدل على المعنى الكامل للإنسانية ما فعله إبان الفتنة الطائفية بين المسلمين في جبل لبنان وبين الإخوة المسيحيين عام 1860م إذ أخمد تلك الفتنة وأنقذ أرواح ما يزيد عن 15000 مسيحي، استضافهم في منزله[1]، ولقي الأمير بموقفه الإنساني هذا إعجاب العالم وتقديره، وهذا ما يثبت أنه رجل محبة وسلام وتسامح ورائد من رواد التآخي والتحاور بين الأديان، فهو رجل لا يحمل غل على أحد أيا كانت عقيدته أو انتمائه فهو يحب الفضيلة والأخلاق الحسنة والعفة.

هناك من يرى بأن الموقف الإنساني الذي صدر من الأمير أثناء الفتنة اتجاه المسيحيين والأصداء التي لقيها هذا الفعل كان سبباً في قيام الجمعية الماسونية بالاتصال بالأمير وزيارته وطلب انضمامه.

جاء في مقال لعمر سعد الله في مجلة المصادر، أن ظهور القانون الدولي المعاصر، يتفق مع القوانين والتعليمات والممارسات التي قام بها الأمير والتي دعى إليها، فكان يدعوا بوجوب حسن معاملة الأسرى، واحترام الأشخاص المدنيين، وجعل القتال ضرورة يجب أن تقدر بقدرها وحظر قتال الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين ممن ليس لهم شأن بالقتال، فالأمير طيلة كفاحه كان يؤمن بالعمل الإنساني، ويدعوا إلى احترام حقوق الإنسان[2]، ثم يضيف صاحب المقال: أن عبد القادر استند في سلوكه على قواعد أخلاقية إنسانية مثل منع النهب والاعتداء، الاغتصاب، ومنع الغدر

(1)- حسين جمعة، "**التجربة النضالية الوطنية للأمير عبد القادر الجزائري**"، مجلة التراث العربي،ع 117-118، ص26.

(2)- عمر سعد الله، "**الأمير عبد القادر الجزائري وظهور القانون الدولي الإنساني المعاصر**"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث، ع: 17، السداسي الأول، الجزائر 2008م، ص33.

واحترام الوعد وإعطاء الأمان لمن يطلبه، فضلا عن قواعد عدم التعرض لكبار السن والأطفال والنساء وغيرها، فإذا تأملنا في هذه القواعد نجد أنها تشكل أصل الكثير من القواعد القانونية وخاصة مجال القانون الدولي الإنساني وقد التزم بها الأمير كلها ولم يسجل له خلاف ذلك أبداً[1].

إن فكرة القانون الدولي الإنساني كانت مطبقة في حرب الأمير ضد فرنسا، وهذا واضح في سلوكاته الإنسانية، وحفاظه على كرامة الإنسان مهما كان جنسه ودينه وعرقه، فالنظم التي وضعها وطرق المعاملات إنما تدل على تأييده لقواعد القوانين الدولية الإنسانية، كما أن تجربة الأمير تعتبر مصدراً ثرياً لإلهام القادة والمفكرين، واستلهم العالم من تجربته قواعد كثيرة ظهرت في مختلف قوانين واتفاقيات القانون الدولي الإنساني.

(1)- عمر سعد الله، مرجع سابق، ص 35-36.

المبحث الثالث: قراءات في مؤلفات الأمير النثرية.

المطلب الأول: كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد:

ترك الأمير مخزونا ثقافيا فكريا كبيرا يفتخر به، وهو مكون من عدة مؤلفات ومراسلات تركها الأمير كإرث ثقافي تستفيد منه الأجيال، فألف رسالة بعنوان: "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد".

ألف الأمير هذه الرسالة عندما كان سجيناً في قلعة أمبواز بفرنسا أواخر عام 1852م، ويعود سبب كتابتها بحسب قول الأمير: "**إني في أيام إقامتنا في أمبواز عند الدولة الفرنساوية الفخيمة تكلم أحد رؤساء الدين المسيحي في الإسلام وقال أن الغدر وعدم الوفاء فيه غير قبيح ولا منهي عنه، فسمعه بعض من لديه محبة ورغبة في إظهار الحق، فجاء إلي وألح في الطلب علي أن أضع في هذا الأمر رسالة تتضمن بيان ما في شرع الإسلام مما يكذب قوله وينبذ سخفه فاعتذرت إليه بالحال التي نحن فيها**"[1]، كان الأمير قد رفض في البداية الكتابة لكن بعد إلحاح متكرر من الطالب وافق: "**ثم أعاد الطلب وشدد فيه وذلك حيث أفضت رئاسة الجمهورية إلى فرع شجرة عظماء ملوكهم البرنس لويس نابليون بونابرت فأجبته معترفاً بأني لا أصلح أن أكون تلميذا لعلماء الإسلام فضلا أن أكون من جملتهم**"[2]، ثم يضيف لتوضيح مقصوده من كتابة هذه الرسالة فيقول: "**ولما كان المقصود من هذه الرسالة بيان حكم شرع الإسلام في الغدر والوفاء وذلك مستلزم لذكر كلام المشرع وكلام الله تعالى المنزل عليه وكلام التابعين له حقيقة لزمني ضرورة تقديم كلام في إثبات الألوهية ثم فن إثبات النبوة والرسالة ولأن هذه الأمور مرتب بعضها على بعض فهي كالأساس...**"[3].

(1)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص 27.

(2)- نفسه، ص27.

(3)- بن عوف، مرجع سابق، ص28.

فالسبب الذي كتب من أجله الأمير هذه الرسالة، يعود كما وضح إلى أنه سمع بعض الحكام والضباط والأمراء الأوروبيين ممن انتقصوا من دين الإسلام واعتبروا أن الخديعة والغدر من سمات الإسلام فبادر الأمير إلى وضع هذا الكتاب للرد عليهم بالدليل الكافي والوافي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ويبين لهم خطأ اعتقادهم.

وهذا الكتاب بما فيه من حجج دامغة وأدلة منطقية قاطعة تثبت وجود الخالق العظيم لهذا الكون الهائل ويبرهن مدى صحة وصدق الكتب السماوية وهو يعتبر أولى المؤلفات النثرية التي ألفها الأمير خارج أرض الجزائر بعد نفيه 1847م[1].

رتب الأمير عبد القادر الرسالة على مقدمة وثلاث أبواب:

جاءت المقدمة في الكلام على العقل، وما يتعلق به، أما الباب الأول فكان في إثبات الألوهية وفيه ثلاثة فصول، الأول في النظر في خلق الأرض وما يتولد منها والثاني في خلق السماوات وما فيها من بديع الحكم، الثالث في النظر إلى خلق الإنسان الذي هو المقصود بالإيجاد وكل شيء خلق لأجله[2].

جاء الباب الثاني في إثبات النبوة مع الرسالة وفيه فصلان، الأول في إثبات الرسالة على الإطلاق والعموم، والثاني في إثبات رسالة مشرع دين الإسلام على الخصوص.[3]

أما الباب الثالث وهو موضوع الرسالة، ففيه بيان ما ورد في الشرع من وجوب الوفاء والأمر به وترك الغدر والنهي عنه، وما يتعلق بذلك كالصدق والكذب، ويعلل الأمير ترتيب الأبواب على الشكل السابق، بطريقة عقلية ومنطقية إذ أنه يعتبر أن ترتيب هذه الرسالة وضعاً وهو بحسب الترتيب عقلا لأن إثبات الألوهية مرتب على وجود العقل، واثبات النبوة والرسالة مرتبة على إثبات الألوهية وبيان ما يحمد ويذم من الأقوال والأفعال والصفات[4].

(1)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص95.

(2)- بركات، مرجع سابق، ص 50.

(3)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص 28.

(4)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا...، مرجع سابق، ص 96.

هذه الرسالة هي حصيلة عمر طويل من الاستقصاء والبحث والتنقيب والتمحيص، كما روى ونقل ونشر عن الديانات والرسل والأنبياء والكتب السماوية[1].

ترجمت هذه الرسالة إلى اللغة الفرنسية، إذ لم يتمكن المجتمع الفرنسي من تجاهلها، فقد نوقشت من قبل العلماء ورجال الفكر، وأدرجت جمعية العلماء بباريس اسم الأمير عبد القادر بين أسماء علماء العالم وعظمائه في ديوان الأمم[2].

المطلب الثاني: كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.

من مؤلفات الأمير عبد القادر التي ألفها في بروسة بتركيا، أثناء إقامته بها رسالة " **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"، طلبت إليه تأليف هذه الرسالة الجمعية الآسيوية بباريس،[3] ألفها يوم الاثنين 14 من رمضان سنة 1271هـ/1855م، فذكر في أولها "**بلغني أن علماء بريز{كذا} وفقهم العليم الحكيم العزيز، كتبوا اسمي في دفتر العلماء، ونظموني في سلك العظماء ...ثم أشار علي بعض المحبين منهم بالإرسال إليهم فكتبت هذه العجالة**"[4]، فقد بلغ الأمير أن علماء باريس تذاكروا في علماء الإسلام المشاهير وانتهى بهم الحديث إلى ذكر الأمير ومؤلفاته التي اتصلت بأيديهم ومواعظه التي كان يلقيها على من يجتمع به منهم، وأجوبته على أسئلتهم التي كانوا يبعثونها إليه فوقع اتفاقهم على أن يثّبتوا اسمه في ديوان العلماء من كل أمة وملة، ومن أهل القرون الماضية فكتبوا إليه يخبرونه بذلك فكتب إليهم رسالته التي سماها: "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"[5].

المؤلف عبارة عن ترجمة لبحث فلسفي كتبه الأمير عبد القادر ببروسة التركية بين (1852م-1855م)، يمثل كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل وهو عنوان النص الأصلي، وهي إسهام من

---

(1)- بركات، مرجع سابق، ص50.

(2)- بديعة الحسيني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق...، مرجع سابق، ص 59.

(3)- السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر ثقافته وتأثيرها في أدبه، دط، وزارة الثقافة، الجزائر2007م، ص67.

(4)- الأمير عبد القادر، رسالة إلى الفرنسيين، تح: عمار طالبي، طخ، وزارة المجاهدين، الجزائر، ص7.

(5)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص 63.

الأمير في الأبحاث الفلسفية على عهده، وقد أصدره في وقت كانت فيه مباحث معاصريه من أعلام الفكر، لا تخرج عن دائرة الأبحاث الدينية والأدبية فالكتاب عبارة عن رسالة فكرية فلسفية[1].

رتب الأمير هذه الرسالة على مقدمة وثلاثة أبواب، وفي كل باب فصل وتنبيه وخاتمة، أما المقدمة ففي الحث على النظر وترك التقليد وذمه، والباب الأول جاء في فضل العلم والعلماء وفيه فصل في تعريف العقل الذي به إدراك العلوم، وتكملة في القوى الأربع التي إذا اعتدلت في الإنسان كان إنساناً كاملاً، وتنبيه في فضل إدراك العقل على إدراك الحواس، وفضل مدركاته على مدركتها وخاتمة في انقسام العلم إلى محمود ومذموم[2].

الباب الثاني من الرسالة جاء في فضل العلم الشرعي، وفيه فصل في إثبات النبوة التي هي منبع العلوم الشرعية، وفيه تنبيه في معرفة النبي وما يتعلق بالنبوة وخاتمة في مكذبين الأنبياء والباب الثالث يتحدث حول فضل الكتابة، وبيان عدد كتابات الأمم، وفيه فصل في الكلام على كتابة الأمم وواضعيها وما ينجر إلى ذلك، وتنبيه في بيان حروف الكتابة العربية وخاتمة في احتياج الناس إلى التصنيف وما يتعلق به، ثم شرع في تفصيل ذلك على الترتيب[3].

يعتبر المؤلف من بين أهم مؤلفات الأمير، ولا يكاد يختلف المؤرخون والدارسون لحياته وسيرته في نسبته إليه، والكتاب ينبئنا عن سعة ثقافة الأمير ومواقفه من الحضارة الغربية المعاصرة ومدى تأثره بما امتازت به هذه الأخيرة من اختراعات وازدهار صناعي وعلمي[4].

مع أن أكثر مباحث الرسالة مطروحة ومتناولة، فإن أكبر فضل يستحقه الأمير هو جمال التنسيق، وحسن ترتيب المباحث المتشعبة والنضرات الواعية المتحررة، التي نظمها من أولها إلى آخرها، فأسلوب الأمير في هذه الرسالة كما يقول الباحثين يختلف عن أسلوب القرون الوسطى، ولذا

---

(1)- عبد القادر شرشار، شخصية الأمير عبد القادر"من منظور الأخر ترجمة أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا"، ط1، دار سفيان للطباعة والنشر، الجزائر 2014م، ص7.

(2)- بن السبع، مرجع سابق، ص197.

(3)- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص63.

(4)- بن السبع، مرجع سابق، ص195.

يعد واحداً من تلك الفئة المجددة التي تركت الطرق المتكلفة ومالت إلى الأسلوب المرسل، وإلى جانب التجديد الأسلوبي هناك تجديد موضوعي، فالرسالة إسهام معتبر في الأبحاث الفلسفية على عهده، وقد أصدرها على عهد كانت فيه مباحث معاصريه من أعلام الفكر، لا تخرج عن دائرة الأبحاث الدينية والأدبية[1].

اعتمد الأمير في كتابة هذه الرسالة على مصادر متنوعة منها: الإحياء لأبى حامد الغزالي وابن خلدون في مقدمته، والرازي وغيرها من المؤلفات في التراث الإسلامي، نقلها المؤرخ الفرنسي غوستاف دوغا إلى اللسان الفرنسي سنة 1858م، وهو قنصل فرنسي بدمشق في ذلك العهد[2].

أرسل الأمير نسخة مخطوطة إلى رئيس المجمع العلمي الأسيوي (président de la société Asiatique) السيد رينو(M Reinoud)عضو المعهد، وهو باحث وخبير في الدراسات التاريخية، مطلع على تاريخ الديانات الثلاث، كتب عن الأمير تقريراً أدرج ضمن مخطوطات المكتبة الملكية (Un Rapport inséré dans le Moniteur du 9 juillet 1855)، ويرى دوغا أن بداية نبوغ الشخصية العلمية والفلسفية للأمير، تكشف عنها فترة ما بعد اعتقاله بأمبواز، حيث يجدد الأمير حياته الأدبية والفكرية، فإذا كانت الأحداث التاريخية التي تعاقبت على الأمير قد تمكنت من نزع بعض الألقاب من سجله الحافل فإنها في رأيه لم تستطع أن تلغي لقباً واحداً وهو رجل الأدب[3].

صدرت أول ترجمة للكتاب سنة 1858م، فاكتشف من خلالها القارئ الفرنسي مفكراً عربياً أصيلا واشتملت الترجمة على بعض المعلومات الخاصة بالكتابات والترجمات، والإشارة لبعض

---

(1)- بركات، مرجع سابق، ص51.

(2)- الأمير عبد القادر، رسالة إلى الفرنسيين...، مصدر سابق، ص7.

(3)- عبد القادر شرشار، "**شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر**"، مجلة التراث العربي، س 23،ع 90، ربيع الأخر 1424هـ/حزيران يونيو 2003م، ص52.

الكتاب الفرنسيين والألمان ممن كتبوا أو ترجموا للأمير، أفردت الصحافة الباريسية للأمير صفحات عريضة بعد صدور هذه الترجمة وأعجب بها الجمهور الفرنسي المثقف أشد الإعجاب[1].

نشر الكتاب المترجم بهذا العنوان: "كتاب عبد القادر "le livre d'Abd el Kader" مع الإشارة إلى ترجمة العنوان الأصلي كاملا: "Rappel à L intelligent avis a l'indifférent confédération philosophiques religieuses historiques"[2].

ظهرت ترجمة أخرى جديدة عام 1977م، تولت نشرها منشورات فيبوس(Phébus) تحت عنوان رسالة إلى الفرنسيين(Lettre aux Français) مترجمها روني خوام الحلبي السوري النشأة(René Khawam)، يعتبر من الباحثين القلائل الذين وهبوا حياتهم كلها للترجمة، في مقدمته لترجمة "**الرسالة التي وجهها الأمير عبد القادر للفرنسيين**" وهو العنوان الذي ارتضاه لكتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"، يصرح أن الترجمة المنسوبة لجوستاف دوجا والتي تعود إلى عام 1858م الوحيدة والمفقودة منذ مدة، خيانة منهجية لفكر الأمير، إنها تسعى إلى تغريب هذا الفكر بشتى الوسائل بينما الخطاب الأصلي للكاتب في نكهته الأسلوبية الأصلية، أقرب إلى أسلوب وتعاليم الكتاب المقدس من النظريات السياسية الحديثة[3].

جاء في كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل": "شيئان ينبني عليهما الدين والدنيا، السيف والقلم لكن القلم أرفع درجة من السيف"، وكان الأمير بعد أن وضع السلاح وأصبح شغله الشاغل العلم لم يعد يرى أهم من طلب العلم والمعرفة ولذلك نجده أقبل عليهما أينما حل وارتحل.

(1)- شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر"ترجمة أشهر....، مرجع سابق، ص129.

(2)- نفسه، ص160.

(3) - شرشار، شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر...، مرجع سابق، ص183.

المطلب الثالث: كتاب المواقف.

اسمه الكامل: "**المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**"، وقد ذكر الأمير بنفسه هذا الاسم في الموقف 360 من كتابه حين يقول:" **قيل لي زد في تسمية كتابك المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**"[1].

هذا الكتاب أهم مؤلفات الأمير حسب معظم المؤرخين، يقع في ثلاث مجلدات، موضوعه التصوف وفيه مباحث صوفية وتفسير آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وبسط للعقيدة بأسلوب صوفي رفيع، وقد ألف الأمير كتابه هذا في المرحلة الثالثة من حياته عند استقراره النهائي بدمشق، تحت إلحاح ثلاثة من العلماء الأفاضل كانوا يترددون عليه في داره، ورجوه أن يدون ما يتكلم به في مجالسه، فكان ذلك كتاب "**المواقف**"، وكان عبد الرزاق البيطار أول من اقترح على الأمير أن يدون ما كانوا يتداولون في مجالسهم العلمية[2].

كتاب المواقف هو تفسير للقرآن والسنة من منظور توحيدي إلهامي، وشرح لعقيدة أهل العرفان وكلام ابن عربي من منطلق شرعي، فهو كتاب صادر عن عقل رجل سالك دارك، مراده أن يبين للأمة حقيقة أمر السلوك، بعدما أيقن انحراف الأمة بثقافة العرفان نحو وجهة أضلتها عن دينها وأبعدتها عن شريعتها[3].

يتميز الكتاب بتعدد الزمان إذ لم يكتب في فترة زمنية واحدة، أخذ كل الفترة الأخيرة من حياته وأثناء وجوده في الشام، وتعدد الأماكن إذ يرتبط بالإلهامات والكشوفات الصوفية التي كانت تأتيه

(1) - الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تح: عبد الفتاح الباقي، ط1، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر 2005م، ص482.

(2) - بركات، مرجع سابق، ص 51.

(3) - عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر"مساجلات في قضايا اللغة والمعرفة والفقه والخطاب القرآني"، ط1، دار القدس العربي، الجزائر 2011م، ص228.

أحياناً في مكة، وطوراً في المدينة المنورة وأخرى بالشام حسب الواردات، وهنا تظهر عناصر الرحلة والسفر كمصادر للمعرفة[1].

أجمع باحثوا ودارسوا حياة الأمير وأثاره على أن الكتاب أهم مصنف ألفه الأمير سواء من ناحية الحجم أو الموضوعات التي يبحثها، حيث أودع فيه زبدة تجاربه وبين فيه بوضوح مذهبه الروحي والصوفي والفلسفي في الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها، وحصيلة تأملاته حيث تناول فيه القضايا العويصة في تاريخ الفكر الإسلامي، وبث فيه آراءه الإصلاحية بثاً دقيقاً آملاً متفائلاً بتحقيق رغبته في الإصلاح[2].

كانت دمشق السباقة إلى إخراج الكتاب إلى النور عام 1329هـ/1911م، بأجزائه الثلاث، ثم طبع عدة طبعات بالقاهرة، بوبت ورتبت بالاستناد إلى النسخة الأصلية المكتوبة بخط الأمير، كما قوبلت على نسخ أخرى كثيرة، وقام بمراجعتها وتصحيحها لجنة من أكابر العلماء في دمشق[3].

1-آراء حول صحة نسبة كتاب المواقف للأمير.

برز رأين متضاربين فيما يخص كتاب المواقف، إذا ما كان من تأليف الأمير أم أنه محض ادعاء وافتراء على الأمير، لذلك سوف نقدم أدلة من الطرفين للنظر في الموضوع.

أ- الموقف الأول: كتاب المواقف ليس للأمير.

ذكر العديد من الكتاب والمؤلفين بأن كتاب المواقف ليس من تأليف الأمير وإنما نسبته إليه مجرد افتراء، فيرى الكاتب عبد الكريم منصور بن عوف في كتابه "حوار مع الأمير عبد القادر"، أن كتاب المواقف ليس من تأليفه بالنظر إلى ما جاء في الكتاب من أقوال لا تعبر عن الأمير، فهو ليس صاحبه فيقول بأن الكتاب جاء فيه أن البشر الذي خلق من ماء مهين قد يتأله، وبإمكانية أن يصبح الإمام والله واحد، كما أنه يفسر القرآن الكريم والحديث النبوي

(1) - بلغراس، مرجع سابق، ص 141.

(2) - بن السبع، مرجع سابق، ص223.

(3) - بركات، مرجع سابق، ص 51.

خلافا لما ذكره السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وضوابط وقواعد التفسير التي حددها علماء وفقهاء الشريعة الإسلامية[1].

فهو يرى أن شخص كالأمير مسلم سني حنيف، يدّرس في مجالسه وفي داره وفي الجامع الأموي ودار الحديث النووي والمدرسة الجقمقية، وفي ندواته العلمية يغترف من تفسير القرآن لابن كثير ويعطي الإجازات في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك لا يقول كلاماً كهذا، كما أن الشعر المذكور في الكتاب دليل إضافي على أن الكتاب ليس للأمير فالأبيات مختلة في وزنها مضطربة العروض، فضلا عن تهويمات وأذكار صوفية لا تدخل في الشعر[2].

من الواضح أن ابن عوف لا يعترف بانتماء كتاب "المواقف" للأمير بالنظر إلى محتواه المعلوماتي والمعرفي الذي يناقض أقوال ومعارف الأمير التي عهدت منه.

أثارت الأميرة بديعة الحسيني الجزائري جدلاً كبيراً حول الكتاب ونفت أن يكون للأمير فتقول: "**مع الأسف أعتبر كتاب المواقف في الجزائر النتاج الفكري الأهم لدى هذا المجاهد الكبير ولم ينتبه أحد من المؤرخين أو العلماء إلى التحريف والتأويل الخطير الذي ملأ صفحاته وقدم إلى المكتبات في الجزائر بشكل مخطوط زعم أنه بخط الأمير**"[3] وتؤكد الأميرة على أنه لا يوجد أي دليل ملموس يؤكد أن الكتاب من تأليف الأمير، وتضيف أنه لا يوجد أي وثيقة بخط الأمير يقول فيها أنه ألف كتاباً اسمه المواقف[4]، وتنفي بشكل قطعي أن يكون كتابه، فتقول أنه ربما هناك من يحقد على الأمير ويكرهه فنسبه إليه، فتضيف

(1) - بن عوف، مرجع سابق، ص 187.

(2) - نفسه، ص187-188.

(3) - الأميرة بديعة الحسيني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق...، مرجع سابق، ص168.

(4) - نفسه، ص149.

الأميرة: "**ربما استأجروا خطاطا يكتب بالخط المغربي ويقلد خطه، واتبعوا نهجاً يؤكد ويضمن نجاح مشروعهم**"[1].

تتهم الأميرة بديعة رجال الطرق الصوفية باختلاق كتاب المواقف ونسبته للأمير قائلة:" **ليس غريباً أن تنسب أقوال وأبيات إلى غير قائلها أو ناظمها وكتباً لغير مؤلفيها لغايات طرقية أو مذهبية أو سياسية بأهداف دعائية وليس غريباً اختلاق كتاب كالمواقف ينسب للأمير بعد وفاته بثلاثين عاماً تقريبا**"[2].

ب- الموقف الثاني: كتاب المواقف من تأليف الأمير.

يؤكد الكثير من المؤرخين بأن الموقف الذي بدر من الأميرة إنما هو ادعاء، وأن كتاب المواقف هو كتاب الأمير ومن تأليفه ودليلهم على ذلك:

- شهادة الشيخ عبد الرزاق البيطار وهو من أقرب أصدقاء الأمير ومقربيه فيقول: "**حضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر، ورسالة عقلة المستوفز له، وكتاب المواقف للمترجم المرقوم وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه**"[3].

فهنا نجد البيطار يتحدث عن حضوره قراءة كتاب المواقف وسماعه من الأمير نفسه، وهذا بنظرنا يعتبر دليل مهم حول حقيقة نسبة الكتاب للأمير.

أما في كتاب التحفة فيذكر محمد بن الأمير عبد القادر: "**له في فن التصوف المقام الشامخ والباع الطويل والقدم الراسخ ومواقفه الكريمة أعدل شاهد بكمال ذوقه في تلك المواقف والمشاهد على أنه أحرز قصب السبق في سائر الفنون وجمع ما تفرق في غيره من حسن**

(1) - الأميرة بديعة الحسيني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق...، مرجع سابق، ص 150.

(2) - نفسه، ص151.

(3) - البيطار، حلية البشر...،ج2، مصدر سابق، ص904.

الأوصاف"[1]، ثم يذكر أن كتاب المواقف من تأليف والده فيقول: "**برع في فنون علوم الشريعة والحقيقة وله تأليف عديدة وحسبك منها كتاب المواقف في علم الحقيقة**"[2].

إن شهادة البيطار حسب رأينا، هي أكبر دليل على أن كتاب المواقف من تأليف الأمير بالنظر إلى أن الأمير والبيطار كانا صديقين ملازمين لبعضهما، لذلك فهو يدرك ما إن كان الكتاب للأمير أو لا، فلا يمكن أن ينسب للأمير شيء ليس له، كما نجد كذلك ابنه محمد يذكر الكتاب في مؤلفه على أنه من تأليف والده، فكيف يعقل أن لا يعلم الابن بمؤلفات والده؟.

2-أعمال أخرى للأمير.

يضاف إلى هذا الرصيد الفكري النثري مذكرات الأمير التي أشرف على تسجيلها بقصر امبواز في فرنسا، وهي عبارة عن رسالة من أسقف فرنسي يطلب منه الجواب على سبعة أسئلة أو ثمانية، فأجاب عليها وكلف قريبه ورفيقه في الأسر مصطفى ابن التهامي[3] أن يتولى تحريرها فأطلق على هذا الجواب اسم "المذكرات"[4].

اكتشفت هذه المذكرات لأول مرة من طرف الأستاذ هنري تيسي(Henri Teissier) أسقف مدينة وهران واختار محتواها أطروحة قدمها لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي اكتشفها الأسقف عند صهره جاك شوفلي(Jacques Chevalier) شيخ بلدية مدينة الجزائر سابقاً، كان

---

(1) - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...،ج2، مصدر سابق، ص 267.

(2) - نفسه، ص 304.

(3) - كان ابن التهامي شيخ علم و دين أديبا و شاعرا بالإضافة إلى الجانب السياسي و العسكري لذالك فهو يشترك مع الأمير في كثير من الخصال، كان رفيق دربه في سجون فرنسا في بو وفي أمبواز، ثم رافقه إلى المشرق من بروسة إلى دمشق، كان هو المدرس لأبناء الأمير وأبناء الجالية الجزائرية السجينة عندئذ، كما أنه انتصب للتدريس في الجامع الأموي منذ حل بدمشق، كانت هناك علاقة بين الأمير وابن التهامي عائليا وسياسيا وأدبيا، كان صهرا للأمير وموضع ثقته ولاه الخلافة على معسكر. للمزيد راجع: تحفة الزائر، ج1، مصدر سابق، ص8. وكتاب: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م، ص183.

(4)- المهدي البوعبدلي، "**أضواء على مذكرات الأمير عبد القادر التي اشرف على تسجيلها بقصر امبواز**"، مجلة الأصالة، م 8 ع 23، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان 2011م، ص11.

السؤال الموجه إلى الأمير ينحصر في سبع نقاط[1]، ونصها الأصلي بالفرنسية: " histoire de l'émir abd el Kader، copie du manuscrit de Sid el hadj Mustapha Ben Thami faite en bartie de la main de l'émir 1849" [2].

أما عن الآثار الأخرى التي تركها الأمير فنجد تلك الحكم والرسائل التي تبادلها مع المسؤولين الفرنسيين وبعض الرجالات من علماء وأدباء ورجال الدين الأوروبيين، ومنها :

- ✓ الحكم: اعتنى الأمير بعدد من الحكم التي انتقاها من التراث العربي وجعلها كهدايا مميزة لزواره، نشر البعض منها في صفحات مجلة الثقافة في العدد 75 من عام 1983م، وهي تتنوع في محتواها لكن هدفها واحد وهو إظهار الأخلاق والحكم العربية نذكر من ذلك: "الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فبخير وإن شرا فبشر..." وأيضا "الإساءة والإحسان يذكران بكل لسان ومن زرعهما جنى عند كل إنسان والسلام على كل من قرأ الكتاب..."[3].
- ✓ رسائله التي تبادلها مع الزعيم اللبناني يوسف بك كرم: وهي رسائل سياسية على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة لأنها جاءت أثناء الحركة الاستقلالية 1877م، شجع خلالها يوسف بك الأمير على القيام بهذه الحركة ودعاه بإلحاح شديد إلى قيام وحدة عربية برئاسته[4].
- ✓ رسائل الأمير مع الأسقف دوبوش: أسقف مدينة الجزائر، حيث كانت المراسلات بينه وبين الأسقف لا تنقطع، لكن هذه المراسلات قلما أشار إليها الكتاب[5].

(1)- انظر: المهدي البوعبدلي، المرجع نفسه، ص11.

(2)- البوعبدلي، مرجع سابق، ص12-13.

(3) - عائشة بن ساعد، مرجع سابق، ص 140-141.

(4) - الخالدي، مرجع سابق، ص65.

(5) - بركات، مرجع سابق، ص64.

- ✓ مراسلات الأمير عبد القادر إلى بواسوني: منذ تولية الأمير على الجزائر وحتى وفاته، تبادل العديد من المراسلات مع الضابط المستشرق بواسوني، وقد تعددت أسباب هذه المراسلات ومناسباتها[1].

(1)- عميراوي أحميدة،" **الأمير عبد القادر الجزائري**"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، دار البحث، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع12، الجزائر 2002م، ص13 وما بعدها.

المبحث الرابع: اهتمامات الأمير الشعرية.

المطلب الأول: أغراض الأمير الشعرية

لم يكن الأمير ينظر إلى الشعر نظرة المداح أو المتكسب وإنما ينظر إليه على أنه تراث ثقافي مشترك، يتقاسم الجنس العربي مفاخره ومجده، ويعتبر إهماله تفريطا في أصالة وثقافة أسلافه[1].

طرق الأمير أبواباً كثيرة من أبواب الشعر منها المدح، العتاب الفخر، التوسل، الشوق والغزل والتهنئة وما إلى ذلك من الأغراض الشعرية[2].

أ- الفخر: لعل أفضل ما جادت به شاعرية عبد القادر هو موضوع الفخر والحماسة فالدارس لفن الفخر عند الأمير يلاحظ أنه انصب على نقطتين أساسيتين هما الفخر الفطري الطبيعي، الذي ينبع أساساً من نسبه الشريف وأصله العربي وأمجاد أجداده، ثم فخر مكتسب إرادي حازه وناله بمواقفه البطولية وأخلاقه الحميدة[3]. فمعظم شعره يدور في الفخر والاعتداد والشهامة، فقد ضلت شاعريته تستمد من خلال قصائد الفخر نسائم الأمل والتجدد، وتشحذ الهمم وقابلية الاحتمال[4].

ب- الغزل: من يقرأ عن الأمير وبداية حياته وتكوينه وبيئته، لا يمكنه القول بأنه يخوض في هذا النوع من الأغراض، خاصة إن كانت مسيرته مثل مسيرة الأمير، غنية وثرية من كل تجارب الحياة، وقد كان غرض الغزل أوفر حظاً من بقية الأغراض الشعرية الأخرى، وأصدقها

---

(1)- نذير بوجله، التقليد والتجديد في شعر الأمير عبد القادر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، إشراف: محمد بن سمينة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2008م، ص62.

(2) - بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مرجع سابق، ص126.

(3) - بن السبع، مرجع سابق، ص 72-73.

(4) - سليمان عشراتي، الأمير عبد القادر الشاعر"مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة الما بعد، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2004م، ص123.

تعبيراً عن كينونة الأمير الإنسانية[1]، فالمرأة في غزليات الأمير هوية بلا وجه ولا ملامح وماهية بلا تفاصيل أو معالم، هي كينونة يكتنفها الإبهام ،وكل ذلك لأن النفس تأبى أن تحصر تقاطيع تلك الكينونة وسماتها في خطوط أو نعوت[2].

ت- المجاملات والمساجلات: قام الأمير ببناء علاقات متعددة وثرية، مع شريحة اجتماعية كبيرة من العلماء والملوك والسلاطين، في العالمين العربي والإسلامي، ناهيك عن العالم الغربي بسبب تعدد أسفاره، حيث ساهمت هذه العلاقات في تبادل المجاملات وبعض الآراء في عدة قضايا كانت تشغل الرأي العام، كل هذا دفع بالأمير إلى نضم مقاطع أو قصائد شعرية، للمساهمة في نقاش أو تهنئة أو التعبير عن إعجاب أو رفع اللبس أو الرد على تهمة[3].

ث- التصوف: أخضت قضية التصوف حيزا كبيرا، خاصة ما تعلق بالنقاش والجدال حول الاجتهاد في معرفة الله، وحول متطلبات الراغب في الوصول إلى إحدى مراتب التصوف ثم علاقة التصوف بالسلطة وتأثيره وتأثره[4].

(1) - محمد بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط3، دار القدس العربي، الجزائر 2009م ص 90-91.

(2)- عشراتي، الأمير عبد القادر الشاعر...، مرجع سابق، ص 169.

(3)- بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي ...، مرجع سابق، ص95-97.

(4)- نفسه، ص99.

المطلب الثاني: كتاب الديوان.

أ- وصف للكتاب وطبعاته.

هو أكبر آثاره الشعرية، لم ينظم في فترة زمنية معينة ولا في بقعة جغرافية معينة، بل نظم على فترات متقطعة، رافق حياة الأمير منذ شبابه في أرض الجزائر وحتى وفاته في دمشق[1].

كانت المحاولة الأولى لجمعه بفرنسا، حيث ظهر فيها كتاب بعنوان "أشعار الأمير" ضمت بعض أشعار الأمير والقوانين العسكرية التي كانت سارية المفعول في جيشه، أما المحاولة الثانية فقد قام بها ابنه الأمير محمد الذي جمع شعر والده في ديوان صغير عنوانه "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر"[2]، نشرت هذه النسخة من طرف دار المعارف بمصر، ثم ظهرت بعدها نسخة الدكتور محمد حقي، صدرت مرتان الأولى في ظل الثورة التحريرية الجزائرية والثانية بعد الاستقلال في 1964م، عنون الكتاب بـ "ديوان الأمير عبد القادر" أما الثالث فهو من تحقيق وشرح وتعليق" زكريا الصيام" صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية للجزائر 1988م[3].

رتب الديوان تبعاً لفنونه فإذ هي خمسة: الفخر، الغزل، المساجلات المناسبات والتصوف وترتيباً موضوعياً تبعاً لموضوعاته وفنونه، لا ترتيباً تاريخياً حسب تاريخ نظم القصائد أو ترتيباً الفبائياً، كما أن هذه الطبعات لا تختلف فيما بينها من حيث النص والموضوعات، لذ لم يعتريها تبديل أو حذف من حيث مضمونها ومحتواها[4].

الأمير في قصائد الديوان طرق كل أبواب الشعر من مدح وعتاب وفخر وتوسل وشوق وتغزل وتهنئة ومطارحة، وما إلى ذلك من الأغراض الشعرية، وزيادة على هذا امتاز بشيء أخر

(1)- صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، مرجع سابق، ص 88.

(2)- بركات، مرجع سابق، ص48.

(3)- العربي دحو، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر(1807-1883)، ط3، منشورات ثالة، الجزائر2007م، ص29-31-34.

(4)- صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، **مرجعسابق، ص**90.

وهو تصويره الصادق لحالة وطنه في روائع أشعاره وقصائده فجاء شعره صورة طبق الأصل لما يقوله الأدباء والكتاب اليوم في تعريف الشعر من أنه "تصوير وتعبير"[1].

ب- قراءة في محتوى الديوان

تضمن ديوان الأمير مجموعة من القصائد:

- ✓ الفخر: من ص (45 إلى 54) تضمن سبع قصائد هي وراء الصور، أبونا رسول الله، بنا افتخر الزمان، لبيك تلمسان، بي يحتمي جيشي، ما في البداوة عيب شددت عليه شدة هاشمية.
- ✓ الغزل: حيث تضمن الديوان إحدى عشر قصيدة من ص(55 الى65) وهي: مسلوب الرقاد، دموع ونار، منوا بلقياكم، يتيه بدله عمدا، بنت العم، جودي بطيف، فراقك نار أرضى بطيف خيال، ذات خلخال، ليس للحب دواء، بالحظ تخدش وجنة.
- ✓ المساجلات: تضمن الديوان سبعة عشر من ص (66 إلى 79) وهي: متى ينقلب نحسي، أهلا بالحبيب، لا يأبى الكرامة إلا، نعمة الشفا، الشوق يكتمه الأريب، لا تعجل بلومك، لا ندم ولا ملامة، يا كثير البعد، ترك العادة ذنب، الجوع يراني، زكاة العلم، أنا مخلص للود شاكر، أنفاس أحبابي تحيني، رباط الورد مشتد، يراع ينفث سحرا لن يبرأ طال ليلي يا أحبائي.
- ✓ المناسبات: جمع في الديوان واحد وعشرين قصيدة من ص(80 إلى 103) وهي: تحصنت لا خوف من الموت، الباذلون نفوسهم، عذاب الأسر، يا سيدي يا رسول الله أعرني قلبا، أمن من حمامة مكة، توسلات ودعاء، نعم الأكرمين، بمن اعتاض عنك غلاء الدار بالجار، كريم من كريم، محامد العلم، هدية وشكر، ما أكمله، عود وورود مناجاة أحد، جنات دمر، الناعورة العاشقة، وليمة الله، الحمد لله، أستاذي الصوفي.

(1)- بركات، مرجع سابق، ص49.

- ✓ التصوف: وفي التصوف كتب قصائد من ص(104الى 131) وهي: غيب مسكين...لم يذق طعم الهوى، أنا الحب والمحبوب والحب جملة، أي واد أصبحوا هو الباطن هو الظاهر، كما كنت، حديث عجب، أنا مطلق، الذي أفناني تجلى المحبوب، غاية الذي يبغي، حقق الأمر، هويته، أمطنا الحجاب، أيا حيرتي، عابد فكرة، لو حضرت، يا عظيما، من أكون، يقولون، كما كتب الأمير قصيدتان للمذكرات وهما : وصف رحلة إلى بو و في مدينة طولون.

هناك شمائل واضحة تشي بها القصائد، وسجايا جلية تعبر عنها الأشعار، لعل أبرز هذه السجايا وتلك الشمائل، فيضان نبع إنسانية الأمير، الذي يتبدى على أكثر من صعيد في شعره، فإنسانيته تتبدى مثلا في نزعة الحب، بمختلف مستوياته الإلهي والإنساني، المادي والرمزي والتي تواترت في أكثر من قصيدة، فالديوان ورغم الطابع المأساوي للتجربة الحياتية التي عاشها الأمير، فهو يخلو من العناوين المأتمية والروح الحدادية، وما ذلك إلا لرجحان وازع حب الحياة، على ما عداه من مشاعر تسكن قلب الأمير[1].

ج- شرح لمناسبات بعض القصائد:

- ❖ قصيدة ما في البداوة عيب، مناسبتها أن بعض الأمراء الفرنسيين تذاكروا في الحضر والبدو، فبعضهم فضل الحاضرة والبعض البادية، ثم اتفقوا على أن يحتكموا للأمير لأنه ممن سكن الحضر والبدو، فحكم لمفضل البادية وأجابه بقصيدة مطلعها:

يا عاذرا لامرئ قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو والقفر[2]

- ❖ قصيدة ليس للحب دواء، قال هذه المقطوعة إجابة على سؤال طرح في مجلس من مجالس الأمير بفرنسا "هل للحب دواء" فاختلف في شأنه، فمنهم من عده مرضاً ومنهم من عده طبيعة، وكتبت أبياتا في الموضوع مطلعها:

(1) - عشراتي، الأمير عبد القادر الشاعر....، مرجع سابق، ص124-125.

(2) - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر...، ج2، مصدر سابق، ص18.

أيا أهل فن الطب بالله خيروا أيوجد للصب النحيل دواء؟[1].

❖ قصيدة أهلا بالحبيب، عندما سمح الفرنسيين لبعض العلماء من العالم العربي بزيارة الأمير في قصر أمبواز قرب باريس فزاره محمد الشاذلي القسنطيني أين استقبله الأمير بهذه القصيدة التي جاء في مطلعها:

أهلا وسهلا بالحبيب القادم هذا النهار لدي خير مواسم[2]

❖ قصيدة بعنوان توسلات ودعاء، جاءت القصيدة في الدعاء والتوسل من أجل نصرة الدولة العثمانية في معركتها مع روسيا في جزيرة القرم 1853م، جاء في مطلعها:

يا رب، يا رب، يا رب الأنام إليه مفزعنا سرنا وإعلانا[3]

❖ قصيدة بعنوان عذاب الأسر، كتبها الأمير خلال فترة أسره فقد كان كثيرا ما يلتجأ إلى التوسل للتخفيف عن نفسه والقصيدة تذهب هذا المذهب، مطلعها:

ماذا على سادتنا أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزيارة في خفا[4].

❖ قصيدة الناعورة العاشقة، ارتجلها الأمير في مأدبة غداء أقيمت على شرفه في حماه وفي أثنائها استرعت ناعورة انتباهه وكان ذلك عام 1277هـ/1882م فكتب فيها القصيدة مطلعها:

وناعورة ناشدتها عن جنينها حنين الحوار والدموع تسيل[5]

❖ قصيدة أستاذي الصوفي، وهي من بحر الطويل كتبها تعبيرا عن فرحه وسعادته للتعرف على أستاذه محمد الفاسي مقدم الطريقة الصوفية الشاذلية والذي أخذ عنه التصوف بمكة المكرمة مطلعها:

---

(1) - دحو، مرجع سابق، ص64.

(2) - نفسه، ص 69.

(3) - نفسه، ص92.

(4) - نفسه، ص 87.

(5) - نفسه، ص101.

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر[1]

لقد كان للأمير مجموعة كبيرة من القصائد، وجد بعضها وتم تسجيلها في كتاب الديوان بينما بقي الكثير من قصائده ضائعا لم يتم التطرق إليه بعد، رغم هذا فإن أشعار الأمير جاءت في مختلف الأغراض وأهمها.

(1)- دحو، مرجع سابق، ص102.

خاتمة

بعد قيامنا بالبحث في موضوع "نشاطات واهتمامات الأمير عبد القادر في الشام من 1847م إلى 1883م توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات نلخصها فيما يلي:

1- جاء قرار الأمير بالتسليم للفرنسيين كنتيجة للضغط الذي تعرض له من جهتين الأولى، بسبب الدسائس الفرنسية التي أوهمت سلطان المغرب بأن الأمير ينافسه للاستيلاء على عرشه، والثانية محاولة الأمير حماية أتباعه من الاستبداد والقتل خاصة بعد تراجع قوته وتخلي بعض أتباعه والقبائل المساندة له عن نصرته.

2- إن قبول الأمير التسليم للفرنسيين جاء بشروط أملاها بنفسه على الفرنسيين، الذين اضطروا إلى قبولها مبدئياً، فقضية الاستسلام التي أثيرت حول الأمير، يراها البعض بأنها "هجرة"، والبعض الأخر" استئمان زمني"، ومهما كانت طبيعتها فالأمير كان يراها الحل الأنسب للموقف الذي كان فيه.

3- رغم ما ادعته فرنسا من احترامها للمبادئ العامة وحقوق الإنسان، إلا أنها في النهاية لم تلتزم بالعهد الذي قطعته للأمير وقامت بأسره في سجونها، لكن الأمير عبد القادر بقي متمسكاً بالوعد ولم يتخل عنه، رغم الإغراءات التي استمرت فرنسا في اقتراحها عليه.

4-انتقل الأمير للاستقرار في بروسة بعد إطلاق سراحه من طرف نابليون الثالث، وهناك كسب اهتمام الكثير من الناس نتيجة ما كان يقوم به، من إلقاءه لبعض العلوم والاهتمام بالشؤون المختلفة للوافدين على طلب العلم والنصح والإرشاد، فكان معلماً ومفكراً أينما حل، غير أن هناك مجموعة من الأسباب اضطرته إلى مغادرة البلاد والانتقال إلى دمشق في 1856م، أين استقر هناك وساهم في تنشيط و تفعيل الحركة الفكرية والأدبية.

5- ساهم الأمير عبد القادر خلال وجوده في دمشق في إخماد الفتنة الطائفية 1860م التي كانت تحيكها أطراف أوروبية لتحقيق أهداف استعمارية في الشام، فذكت نار

الفتنة بين الدروز و المسلمين والموارنة المسيحيين، أين تدخل الأمير لإنقاذهم من القتل والحرق.

6- كان للعمل الذي قام به الأمير من إنقاذه لآلاف المسيحيين صدى كبير في العالم الأوروبي والعربي، فقد توالت عليه رسائل التهنئة والهدايا الرمزية والشرفية من العديد من الدول مثل: الدولة العثمانية، انجلترا، روسيا، فرنسا،...التي أشادت بالعمل الجليل الذي قام به الأمير للمسيحيين في الشام.

7- صحيح أن الأمير عبد القادر تواصل في البداية مع الجمعية الماسونية خاصة بعد فتنة دمشق 1860م أين وجهت له مجموعة من رسائل الشكر والعرفان من بينها رسالة جاءته من هذه الجمعية التي كانت تدعوا للتسامح والتفاهم والإنسانية فرد عليها الأمير من باب كرم أخلاقه فاعتبر بذلك عضو منتسب غير أن الأمير بعد أن علم حقيقة هذه الجمعية والتي اختلفت مبادئها عن المبادئ الأولى التي تأسست عليها ابتعد عنها، وقطع كل اتصال بهم.

8- عرض على الأمير عبد القادر سنة 1877م زعامة الدولة العربية المستقلة في بلاد الشام وكان رده أن وافق مبدئيا، لكن بالحفاظ على الانتماء الروحي للدولة العثمانية ومع تسارع الأحداث في المنطقة تم تأجيل المشروع إلى أن الغي نهائيا.

9- رغم وجود الأمير في الشام إلا أنه كان دائما يتطلع إلى معرفة أحوال وطنه الجزائر من خلال الوافدين إلى دمشق للحج، والدليل على ذلك اهتمامه بالمهاجرين الذين اضطهدتهم فرنسا، لكنه لم يظهر ذلك التزاما بالوعد الذي قطعه لنابليون الثالث بالتخلي نهائيا عن العودة للجزائر.

10- اهتم الأمير خلال فترة إقامته بدمشق بفئة المهاجرين وخاصة الجزائريين المضطهدين من الفرنسيين بالجزائر، والذين اتخذوا من دمشق وطناً لهم، فقدم لهم كل المساعدات التي يحتاجون لها.

11- وقف الأمير موقفاً سلبياً من مشاركة ابنه محي الدين في ثورة 1871م، التي كانت قائمة في الجزائر، وربما هذا يعود إلى تخوف الأب من فقدان ابنه أو ترجع إلى العلاقة التي جمعته مع الفرنسيين بعد نفيه، رغم ذلك فإننا لا يمكن أن نجزم بحقيقة هذه الأسباب أو حتى حقيقة الموقف الذي اتخذه.

12- إن تجربة الأمير وانجازاته في ميدان الثقافة والتعليم لا تقل أهمية عن انجازاته في الميدان العسكري والسياسي، إذ فتح جبهة مقاومة جديدة انتقل فيها من مرحلة السيف إلى مرحلة القلم.

13- اهتم الأمير بالنشاط التعليمي وهو في الأسر، فداوم على إلقاء الدروس وإفادة أبناءه وأتباعه بمختلف العلوم التي كان يفقهها، فكان يقيم حلقات دراسية يتناقشون فيها في عديد المواضيع الأدبية والعلمية والدينية، ما يؤكد أن فكرة الأمير عن المقاومة ليست بالضرورة استخدام السلاح وإنما يمكن أن يجتازها إلى استخدام القلم.

14- واصل الأمير اهتمامه بالعلم فكان يتردد على الجامع الأموي للدراسة والتدريس، فكان يقضي معظم وقته بين المدرسة الاشرفية و الجقمقية يقدم الدروس ويشرح القرآن والحديث وكتب القوم من المتصوفة .

15- ترك الأمير مخزونا فكرياً هائلاً مكوناً من مجموعة من الكتب النثرية الدينية والعلمية منها كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" وكتاب في التصوف بعنوان "المواقف" كما اهتم الأمير بالشعر وكتب في أغراض مختلفة من الفخر والغزل والمساجلات وكان له ديوان في الشعر، إلى جانب العديد من المراسلات والأجوبة التي بعث بها إلى جهات مختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- ابن التهامي مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح تق وتع: يحي بوعزيز، طخ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م.

2- البيطار عبد الرزاق, حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر, تح: محمد بهجة البيطار, ج2 -ج3, ط1, دار صادر, بيروت 1963م.

3- الجزائري الأمير عبد القادر، كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، تح: عبد الباقي مفتاح، ج1-ج2، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر الجزائر 2005م.

4- الجزائري الأمير عبد القادر, مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م, تح: محمد صغير بناني, محفوظ سماتي, محمد الصالح الجون, دط, دار الأمة للطباعة والنشر , الجزائر 2007م.

5- الجزائري الأمير عبد القادر، رسالة إلى الفرنسيين، تح: عمار طالبي، طخ وزارة المجاهدين، الجزائر 2005م.

6- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"سيرته القلمية"، ج2، دط، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش, الإسكندرية 1903م.

7- تشرشل شارل هنري, حياة الأمير عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر, تر : أبو القاسم سعد الله, دط, الدار التونسية للنشر, تونس 1974م.

8- الزركلي خير الدين ، الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 3ج، ج4، ج9، دار العلم للملايين، بيروت 1970م.

ثانيا: المراجع :

1-الكتب:

أ- بالغة العربية:

1- اباضة نزار, الأمير عبد القادر الجزائري العلم المجاهد, ط1, دار الفكر، دمشق 1994 م.

2- آتيين, برونو عبد القادر الجزائري, تر: ميشيل خوري, ط1, دار عطية, بيروت 1995م.

3-الاسكندري عمر, سليم حسن, تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر, دط, دار فري ديتوريا , القاهرة دت.

4- بدوي عبد الرحمن, الدروز"فصل من كتاب مذهب الإسلاميين "، م2, ط1, بيروت 1973م.

5- بركات محمد مراد, الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي, دط, دار النشر الالكتروني، الجزائر 1990م.

6- بروكلمان كارل, تاريخ الشعوب الإسلامية, تر: نبيه أمين فارس, منير البعلبكي ط5 دار العلم للملايين, بيروت 1968م.

7- بسايح بوعلام, الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فيليب إلى نابليون الثالث, تر: خليل احمد خليل, وزارة الثقافة, الجزائر2007م.

8- بن السبع عبد الرزاق, الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه, دط, مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، السعودية 2000م.

9- بن حراث عبد القادر، جوانب من شخصية الأمير من خلال مؤلفاته الأدبية، دط مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر دت.

10- بن عوف عبد الكريم منصور, حوار مع الأمير عبد القادر, دط, دار القدس العربي الجزائر 2012م.

11- بوزيد عدنان ونسيم, الأمير عبد القادر ملحمة الحكمة, دط, دار منشورات زكي بوزيد الجزائر 2007م.

12- بوطالب عبد القادر, الأمير عبد القادر والأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير, دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2009م.

13- بوعزيز يحي, الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري سيرته الذاتية وجهاده طخ, دار البصائر للنشر والتوزيع, الجزائر 2009م.

14- بوعزيز يحي, الأمير عبد القادر والحوار في خدمة الإنسانية, ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية المنعقد يومي 22 – 23 نوفمبر, من مؤسسة الأمير عبد القادر, موفم للنشر, تلمسان 2011م.

15- بوعزيز يحي, بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري, دار البصائر للنشر والتوزيع طخ، الجزائر 2009م.

16- بوعزيز يحي, مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، طخ, دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م.

17- بوعزيز يحي،"**الحياة الروحية للأمير عبد القادر**"، ملتقى الجزائر من 29 يونيو إلى 1 يوليو 1998، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 2011م.

18- بوعزيز يحي، ثورة 1871م دور عائلتي المقراني والحداد، بط، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، د ت.

19- بونار رابح ، الأمير عبد القادر الرجل مساره ومؤلفاته، دط، وزارة الثقافة تلمسان 2011م.

20- بويجرة محمد بشير، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط3، دار القدس العربي، الجزائر 2009م.

21- جوليان شارل أندري, تاريخ الجزائر المعاصرة (1827-1871), تر: جمال فاطمي, نادية الأزرق وآخرون, م1, ط1, دار الأمة, الجزائر 2008م.

22- الحسني عبد المنعم القاسمي, أعلام التصوف في الجزائر، ط1, دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر 2005م.

23- الحسيني الجزائري الأميرة بديعة, الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتحريف, ط2, دار المعرفة, الجزائر 2008م.

24- الحسيني الجزائري الأميرة بديعة, ردود وتعليقات على كتاب حياة الأمير عبد القادر لشارل هنري تشرشل, ط1, دار الفكر بدمشق, دمشق 2001م.

25- الحلواني أحمد, "**دمشق الشام والأمير عبد القادر**", أعمال الملتقى الدولي حول "الأمير واجب الذاكرة وتحديات الساعة"، أيام 25 و26 ماي, منشورات مؤسسة الأمير عبد القادر, الجزائر 2005م.

26- حليم إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية"التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية" ط1، مؤسسة الكتب الثقافية للطبع والنشر والتوزيع، بيروت 1988م.

27- الخالدي سهيل, الجزائر وبلاد الشام صفحات من النضال المشترك ضد الاحتلال, ط1, منشورات دار الحضارة, الجزائر 2013م.

28- دحو العربي، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر(1807-1883)، ط3 منشورات ثالة، الجزائر 2007م.

29- الدمشقي عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس، إع وتق: عمار محمد النهار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2014م.

30- الراسي جورج, الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القادر، دط, دار القصبة للنشر، الجزائر دت.

31- الروقي عايض بن خزام, حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية(1831م-1839م)، دط، مطابع جامعة أم القرى، أم القرى 1986م.

32- زكار سهيل, تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر"روايات تاريخية معاصرة لحوادث عام 1860م ومقدماتها في سوريا ولبنان, دط, التكوين للدراسات والترجمة والنشر, دمشق 2006م.

33- سحلي محمد الشريف, الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية تعر: حبيب شنيني, دط, دار القصبة للنشر والتوزيع, الجزائر 2007م.

34- سحلي محمد الشريف, الأمير عبد القادر فارس الإيمان, تر: محمد يحياتن المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر 2008م.

35- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م.

41- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية(1830م-1900م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992م.

37- سعد الله أبو القاسم ، محمد الشاذلي القسنطيني (1807-1877) دراسة من خلال رسائله وشعره ، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م.

38- سعيدوني ناصر الدين, عصر الأمير عبد القادر, دط, مؤسسة ماجد الحكواتي للطباعة, الجزائر 2001م.

39- السقا أميني محمد صفوت ، سعدى أبو جيب، الماسونية، ط2، منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة 1982م.

42- السيد فؤاد صالح, الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا, دط, وزارة الثقافة الجزائر 2007م.

43- السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر ثقافته وتأثيرها في أدبه، دط، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م.

44- الشاذلي محمد الثابت ، المسألة الشرقية "دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية 1299- 1923، دط، مكتبة وهبة، القاهرة 1989م.

45- شرشار عبد القادر، شخصية الأمير عبد القادر"من منظور الأخر تر: أشهر مؤلفات الأمير من قبل الباحث الفرنسي جوستاف دوجا"، ط1، دار سفيان للطباعة والنشر، الجزائر 2014م.

46- شيلشر ليندا, دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر, تر: عمر الملاح ودينا الملاح, ط1, دار الجمهورية بيتموني وشركاه, دمشق 1998م.

47- صبري محمد, تاريخ مصر من محمد علي إلى العصر الحديث, ط2, مكتبة مدبولي, القاهرة 1996م.

48- صفوت محمد مصطفى, انجلترا وقناة السويس 1854-1956م, دط, دار المكتبة التجارية الكبرى, الإسكندرية 1952م.

49- الصلابي علي محمد, سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي دط, بيروت د ت.

50- عامر إيمان, حكاية قناة السويس, دط، الهيئة العامة لقصور الثقافة, القاهرة 2010م.

51- عبد العزيز محمد عوض, الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م رسالة قدمت لقسم التاريخ بكلية الآداب للحصول على درجة الماجستير في الآداب، جامعة عين الشمس، دار المعارف، القاهرة دت.

52- العربي إسماعيل, الأمير عبد القادر الجزائري, دط, طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, الجزائر 1984م.

53- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة وقائد جيش الموسوعة التاريخية للشباب، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984م.

54- عزوي محمد الطاهر ، تصوف الأمير عبد القادر، ملتقى الجزائر 29 يونيو-21 يوليو 1998م، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر دت.

55- العسلي, بسام الأمير عبد القادر الجزائري, دط, دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع, الجزائر 2010م.

56- عشراتي سليمان, الأمير عبد القادر في بلاد المشرق (ملحق بكتاب 10سنوات في أرض الإسلام للجاسوس ليون روش), ط1, دار القدس العربي للنشر والتوزيع, الجزائر 2011م.

57- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر"مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة الما بعد، ط2، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر 2004م.

58- عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر المفكر"مساجلات في قضايا اللغة والمعرفة والفقه والخطاب القرآني"، ط1، دار القدس العربي، الجزائر 2011م.

59- علي أحمد إسماعيل, تاريخ بلاد الشام, ط3, دار دمشق للنشر والتوزيع دمشق 1994م.

60- عمورة عمار, موجز تاريخ الجزائر, ط1, دار ريحانة للنشر والتوزيع, الجزائر 2002م.

61- عوض عبد العزيز محمد, الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914م دط، دار المعارف بمصر، القاهرة دت.

62- مبارك عدنان ،"**الأمير عبد القادر الجزائري مع العلماء والشخصيات والأعيان والوجهاء في بلاد الشام**"، ملتقى دولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية

المنعقد يومي 22- 23 نوفمبر، مؤسسة الأمير عبد القادر، موفم للنشر الجزائر 2011م.

63- المحامي محمد كامل حسن, عظماء الإسلام الأمير عبد القادر الجزائري دط, المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت 1995م.

64- محمد مصطفى صفوت، انجلترا وقناة السويس 1854-1956م، دط، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية 1956م.

65- مصطفى أحمد عبد الرحيم, في أصول التاريخ العثماني, ط1, دار الشروق القاهرة 1982م.

66- المقدي محمد بن عبد الله ، التصوف بين التمكين والمواجهة.

67- مكاريوس شاهين, الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية, هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة 2012م.

68- ملزباتريك ماري، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعي والسياسي والإسلامي" سلاطين بني عثمان"، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت 1968م.

69- النقشبندي محمد بن عبد الله الخاني الخالدي، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، دط، دار الشفقة، تركيا 2002م.

70- ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، دط مكتبة العبيكان، الرياض 1995م.

ب- بالغة الفرنسية:

1- Bessaih Boulem, de l'émir Abd al Kader a limem Chamil . Alger 2009.

2- Bouamrane Chikh . Abd al Kader résistant et humaniste .éditions. ANEP .Alger 2001

2-الدوريات والجرائد:

1-ابن سمينة محمد ،" **الأمير عبد القادر الرائد في الذكرى المئوية الثانية لميلاده (1807م-2007م)**"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث، ع 17 السداسي الأول ، الجزائر2008م.

2- بلغراس عبد الوهاب ،" **هل يعتبر الأمير عبد القادر مجددا فلسفيا وصوفيا**"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، المركز الوطني للبحث في الانتربولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، ع05، ديسمبر2010م.

3- بوطارن محمد الهادي, "**التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال عهد الأمير عبد القادر**", مجلة الباحث ,ع06, تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر 2012م.

4- البوعبدلي المهدي، "**أضواء على مذكرات الأمير عبد القادر التي اشرف على تسجيلها بقصر امبواز**"، مجلة الأصالة، م 8، ع23، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان 2011م.

5- بوعزيز يحي ،" **ثورة محمد المقراني والشيخ ابن حداد**"، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، س1، ع2، ربيع الأول 1391هـ/ماي ، الجزائر1971م.

6- بوعزيز يحي, "**الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي**", مجلة الأصالة, المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, مج 10, س4, ع25, جمادى الأولى / جمادى الثاني1395هـ/ماي – جوان1975م ، الجزائر 2011م.

7- بوعزيز يحي, "**وثائق جديدة عن محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1871م وعن موقف أبيه والسلطات التونسية**"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، س 5، ع38، شوال 1396هـ/أكتوبر، الجزائر1976م.

8- بوعزيز يحي، "**موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر**"، مجلة الأصالة، مج 10، س4، ع23، جمادى لأولى – جمادى الثاني 1395هـ/ماي-جوان1975م الجزائر 2011م. .

9- بوعياد محمود ,"**أهم الأحداث في حياة الأمير عبد القادر**", مجلة الثقافة, وزارة الثقافة, س13، ع75, الجزائر 1983م.

10- بوعياد محمود ، "**عبد القادر الإنسان**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، س 13،ع 75، رجب – شعبان 1403هـ/ ماي-جوان ، الجزائر1983م.

11- جمعة, حسين "**التجربة النضالية الوطنية للأمير عبد القادر الجزائري**", مجلة التراث العربي, اتحاد الكتاب العرب, ع117, 2010م.

12- الخرفي صالح, "**الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية**", مجلة الثقافة, وزارة الثقافة, ع4, رجب 1391هـ/سبتمبر، الجزائر 1971م.

13- سبقاق الطاهر, "**إسهامات الجزائريين في الحقل الثقافي السوري بين 1332/1245هـ - 1914/1830م**", مجلة الواحات للبحوث والدراسات, قسم التاريخ جامعة ورقلة, ع11, ورقلة 2011م.

14- سعد الله عمر، "**الأمير عبد القادر الجزائري وظهور القانون الدولي الإنساني المعاصر**"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث، ع17، السداسي الأول، الجزائر 2008م.

15- السيد فؤاد صالح, "**الأمير عبد القادر في دمشق جوانب من حياته الدينية والعلمية والفكرية(1272-1300هـ/1856-1883م)**", مجلة الثقافة, وزارة الثقافة ع75, الجزائر1983م.

16- شرشار عبد القادر," **شخصية الأمير عبد القادر من منظور الأخر**"، مجلة التراث العربي، س23، ع 90، ربيع الأخر 1424هـ/حزيران- يونيو 2003م.

17- الشيخ أبو عمران," **مراسلة الأمير عبد القادر مع الإمام شميل من القوقاز**" مجلة الثقافة, وزارة الثقافة, ع 75, الجزائر1983م.

18- صدار نور الدين ، "**البطولة. الإنسان. والتصوف تنويعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر**"**مقارنة بنيوية تكوينية**"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 37،ع 2، الجزائر 2010م.

19- طالبي عمار، "**الأمير عبد القادر والتصوف**"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، س 13، ع75 رجب/شعبان 1403هـ- ماي/جوان 1983م، الجزائر 2009م.

20- عبود الجيلالي،" **محاضرة في تاريخ الأمير عبد القادر(من تاريخ الأمير عبد القادر)**"، جريدة البصائر، س1، سل2، ع14، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2006م.

21- عميراوي أحميدة،" **الأمير عبد القادر الجزائري**"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، دار البحث، دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع12، الجزائر 2002م.

22- المدني أحمد توفيق،"**الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر**" مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، س 13 ،ع75 رجب- شعبان 1403هـ/ماي-جوان الجزائر 1983م.

23- مسوح جورج," **ذاكرات قاتلة**"**1860 تاريخ وذاكرة نزاع**", جريدة النهار, ع78 بيروت 2011م.

24- مهيبل أسمى، "**الأمير عبد القادر الجزائري وحركة الوجهاء الشاميين (1877م-1879م)**", حولية المؤرخ ، إتحاد المؤرخين الجزائريين, ، ع6 جويلية الجزائر 2005م.

3- الرسائل الجامعية:

1-بن ساعد عائشة ، "**البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري**"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر2003-2004م.

2- بوجله نذير، "**التقليد والتجديد في شعر الأمير عبد القادر**"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، إشراف: محمد بن سمينة، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2008م.

3- حناش نصيرة ، فاطمة الزهراء رالم احمد،"**النهضة التعليمية والثقافية في بلاد الشام ومساهمة الجزائريين فيها من 1831م /1914م**"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر إشراف: فتاتة ميلود، قسم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، 2014-2015م.

4-فرعون حمو, **فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر(دراسة انتروبولوجية)**, إشراف: سعيدي محمد, قسم الانتروبولوجيا كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية, جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان, 2009م/2010 م.

فهرس المحتوى

ملخص المذكرة

شكر وتقدير

إهداء 1

إهداء 2

قائمة المختصرات

مقدمة.....09 ص.

الفصل الأول: الأمير عبد القادر يغادر الجزائر.

المبحث الأول: الأمير عبد القادر أسيرا في فرنسا.....ص 16.

المطلب الأول: أسر الأمير عبد القادر..... ص 16.

المطلب الثاني: الأمير عبد القادر في طولون ثم بو.....ص 20.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر ونابليون الثالث.....ص25.

المطلب الأول: الأمير عبد القادر في أمبواز.....ص 25.

المطلب الثاني: لقاء الأمير عبد القادر ونابليون الثالث.....ص26.

المبحث الثالث: انتقال الأمير إلى تركيا (1853_1855م).....ص29.

المطلب الأول: الأمير عبد القادر في القسطنطينية ولقاءه بالسلطان العثماني.....ص33.

المطلب الثاني: استقرار الأمير عبد القادر في بروسة.....ص36.

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر في بلاد الشام.....ص39.

المطلب الأول: أسباب اختيار الأمير دمشق .....ص39.

المطلب الثاني: استقرار الأمير في دمشق.....ص41.

الفصل الثاني: الاهتمامات السياسية للأمير في بلاد الشام.

المبحث الأول: فتنة دمشق 1860م.....ص46.

المطلب الأول: الخلفيات التاريخية لأحداث دمشق.....ص46.

المطلب الثاني: مساهمة الأمير عبد القادر في أحداث دمشق.....ص51.

المطلب الثالث: ردود الفعل حول تدخل الأمير عبد القادر.....ص55.

المبحث الثاني: الأمير عبد القادر و الماسونية 1865/1860م.....ص60.

المطلب الأول: رحلات الأمير عبد القادر بعد فتنة دمشق.....ص60.

المطلب الثاني: الأمير عبد القادر و الماسونية.....ص63.

المبحث الثالث: موقف الأمير من بعض المشاريع .....ص71.

المطلب الأول: مشروع قناة السويس 1869م.....ص71.

المطلب الثاني: فكرة تنصيب الأمير سلطانا على العرب في الشام.....ص76.

1- ظروف وعوامل قيام حركة الوجهاء.

2- مؤتمر حركة الوجهاء الشاميين وقراراته.

3- موقف الأمير من هذه الحركة.

4_ الأمير عبد القادر ويوسف بك كرم.

المبحث الرابع: الأمير عبد القادر والجزائر.....ص84.

المطلب الأول: تدخل الأمير لمساعدة المهاجرين الجزائريين.....**ص84.**

المطلب الثاني: موقف الأمير من بعض الثورات في الجزائر.....ص88.

1_ موقف الأمير من مشاركة ابنه في ثورة1871م.

2_ أسباب الموقف السلبي للأمير من مشاركة ابنه .

الفصل الثالث: الاهتمامات التربوية والروحية والفكرية للأمير عبد القادر في بلاد الشام.

المبحث الأول: اهتمام الأمير عبد القادر بالجانب العلمي..... ص93.

المطلب الأول: في تركيا وبلاد الشام.....ص93

1_ اهتمام الأمير بالعلم أثناء أسره بفرنسا.

2_ الأمير العالم في تركيا.

3_ الأمير العالم في دمشق.

المطلب الثاني: المدارس التي درس بها الأمير.....ص98

1_ دار الحديث الاشرفية.

2_ المدرسة الجقمقية.

المبحث الثاني: الجانب الروحي للأمير عبد القادر.....ص100.

المطلب الأول: تصوف الأمير عبد القادر.....ص100.

1_ أسباب وعوامل تصوف الأمير.

أ_ تعريف التصوف.

ب_ عوامل تصوف الأمير.

2_ مراحل تصوف الأمير منذ 1848م.

المطلب الثاني: الأمير الإنساني.....ص107

المبحث الثالث: قراءات في مؤلفات الأمير النثرية.....ص110.

المطلب الأول : كتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد.....ص110

المطلب الثاني: كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.....ص112

المطلب الثالث: كتاب المواقف ص116

1_ آراء حول صحة نسبة كتاب المواقف للأمير.

أ_ الموقف الأول: كتاب المواقف ليس للأمير.

ب_ الموقف الثاني: كتاب المواقف من تأليف الأمير.

2_ أعمال أخرى للأمير.

المبحث الرابع: اهتمامات الأمير الشعرية.....ص123.

المطلب الأول: أغراض الأمير الشعرية.....ص123.

المطلب الثاني: كتاب الديوان.....ص125.

أ_ وصف للكتاب وطبعاته.

ب_ قراءة في محتوى الديوان .

ج _ شرح لمناسبات بعض القصائد.

الخاتمة.....ص131.

قائمة المصادر والمراجع.....ص133.

فهرس المحتوى.....ص148.